

الإتجاهات في الصحافة الدولية

صلاح عبد الحميد

الاتجاهات الحديثة

فى الصحافة الدولية

تأليف

صلاح عبد الحميد

طبعة ٢٠١٨

عبد الحميد ، صلاح.

الاتجاهات الحديثة فى الصحافة الدولية/ صلاح عبد الحميد؛- الجيزة: أطلس للنشر والإنتاج الإعلامي، ٢٠١٨ .

١٣٢ ص ,٢٤ سم

١- الصحافة

أ- العنوان

٠٧٠

الاتجاهات الحديثة
فى الصحافة الدولية

تأليف

صلاح عبد الحميد



رئيس مجلس الإدارة

عـادل المصـرى

عضو مجلس الإدارة

المنتدب

نوران المصرى

رقم الإيداع

٢٠١٨/٣٨٥٤

الطبعة الاولى

طبعة ٢٠١٨

الكتـاب : الاتجاهات فى الصحافة الدولية

المؤلف : صلاح عبد الحميد

الناشـر : أطلس للنشر والإنتاج الإعلامى ش.م.م

٢٥ش وادى النيل – المهندسين – الجيزة

sales@atlasdic.com

www.atlas-publishing.com

تليفون : ٣٣٤٦٥٨٥٠ – ٣٣٠٤٢٤٧١ – ٣٣٠٢٧٩٦٥

فاكـس : ٣٣٠٢٨٣٢٨

****

بسم الله الرحمن الرحيم

(فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا)

[سورة طه آية: ١١٤]

مقدمة

تعرضت الصحافة خلال العقود الماضية إلى ضغوطات كبيرة من داخل المؤسسات الصحافية، ومن خارجها. وتحديدا تواجه الصحافة منذ السنوات الأخيرة من نهاية القرن العشرين تحديات صعبة من المنافسة مع الوسائل الجماهيرية الأخرى، وخاصة ظهور وانتشار الإنترنت في العالم. كما تواجه الصحافة التقليدية تحديات من المدارس الحديثة في الصحافة، أثرت على مضمون وشكل الصحافة التقليدية، مما استدعى إعادة هيكلة وبناء وتفكير ف النمط التقليدي للصحافة التي تآلف معها القراء على مر العقود السابقة. وبناء على هذه المعطيات، تحاول هذه الدراسة التعرف على الاتجاهات الحديثة في الصحافة العالمية من مختلف جوانب العمل المهني للصحافة. وتحديدا تسعى الدراسة إلى الإجابة على الأسئلة التالية:

ما ابرز الإتجاهات الإعلامية الحديثة؟

- هل ماتت الصحافة؟
- ما أهم التوجهات في المضامين التحريرية للصحافة العالمية؟
- كيف تأثرت أرقام توزيع الصحف في الحقبة الجديدة؟
- ما مدى تأثير الصحافة المجانية على الصحافة المدفوعة؟
- ما تأثير الصحافة الإلكترونية على الصحافة الورقية؟
- ما تأثير صحافة المواطنين (الإعلامات الشخصية) على الصحافة؟
- ما ملامح التكيف لوكالات الأنباء العالمية مع متغيرات الإعلام والصحافة؟
- ما أبرز الإتجاهات الحديثة في مقاسات الصحف والتصاميم الفنية؟

تحاول الدراسة استعراض أحدث البحوث والدراسات في مجال الصحافة والإعلام لاستشفاف ملامح الاتجاهات الحديثة. كما تعرض الدراسة لوصف تطوري

لأهـــم الصحـــف العالميـــة في عـــدد مـــن الـــدول الأمريكيـــة والأوروبيـــة والآســـيوية، حيـــث ان هـــذه الصحـــف تقـــود عمليـــات التغيـــير التـــي تؤثـــر عـــلى باقـــي صحـــف العـــالم.

***

وسائل الإعلام الجماهيرية الدولية

مع انتشار شبكة الانترنت العالمية خلال تسعينيات القرن الماضي، ترددت أصوات تقول بأن المسألة مسالة وقت، لتفسح الصحف المطبوعة الطريق أمام التوزيع الإلكتروني بالكامل، وبعد مرور سنوات على تلك التنبؤات ترددت أحاديث بين مغامري النشر الإلكتروني العرب تبشر بترك النشر الإلكتروني والعودة للنشر والتوزيع التقليدي، دون أي إيضاح لأسباب نجاح أو فشل تجربتهم تلك، أو عن عوائدهم المالية التي هي في الحد الأدنى تكاد تغطي التكاليف. خاصة وأن نجاح أي مشروع إعلامي تجاري يعتمد بالدرجة الأولى على المبيعات، والاشتراكات، والإعلانات التجارية، في الوقت الذي تقدم فيه الصحف الإلكترونية خدماتها في البلدان العربية بالمجان تقريباً، لأن الإعلان يكاد في الآونة الأخيرة يغطي بعض نفقات تلك المواقع الإلكترونية بشكل لا يمكن التعويل عليه لإنجاح أي مشروع إعلامي الكتروني تجاري . ولعل من أهم وسائل الإعلام الجماهيرية الدولية :

الصحافة المطبوعة: تعد الصحف من أقدم وسائل الإعلام في العالم على الإطلاق، فقد سبقت منافستيها الإذاعة والتلفزيون بعدة قرون. وللصحف خصائص تميزها عن سواها من وسائل الإعلام الجماهيرية، فالصحيفة لا تستطيع نقل الأخبار بتلك السرعة التي تنقلها بها الإذاعة، ولا يمكنها نقل وتقريب الواقع كما يفعله التلفزيون، ولكنها تقوم بذلك بشكل متميز جعل من الصحيفة جزءاً لا يتجزأ من حياة الفرد المتعلم في كل أنحاء العالم.

ويعتبر عام ١٤٥٤م بداية ظهور الصحف بشكلها المعاصر، عندما اخترعت الطباعة عن طريق صف الحروف، وخدم هذا الاختراع المركز الرئيسي للسلطة في العالم المسيحي آنذاك، والمتمثل بسلطة الكنيسة، بينما تأخر استخدام هذه الوسيلة الحديثة في طباعة الكتب والنصوص لعدة قرون في العالم الإسلامي بسبب التحريم الديني.

وخدمت المطابع الكنيسة في نشر مواضيع تهم الدين والدنيا، وأصبحت من عوامل الإصلاح الديني في العالم المسيحي خلال الفترة الممتدة مابين القرنين السادس عشر والسابع عشر، ونشرت المطابع روائع كتب القرون الوسطى، وكتب عصر النهضة بنسخ كثيرة، ووضعتها بمتناول الجميع بعد أن كانت حبيسة خزائن الكتب. ونقلت أخبار التجارة والاقتصاد للتجار في كل مكان، ولعل المنشورات مجهولة المصدر والهوية التي لعبت دوراً كبيراً إبان الثورتين الفرنسية، والأمريكية، من أبلغ الأمثلة على الدور الهام الذي لعبته الطباعة في تغيير العلاقات الإنسانية في المجتمع الإنساني المعاصر.

وحاولت الصحف بالتدريج أن تصبح حارساً للديمقراطية، بإتاحتها الفرصة للمرشح والناخب بالتعرف إلى بعضهما البعض دون اتصال مباشر، بل عن طريق انتقال الأفكار المنشورة على صفحاتها، وأصبحت من الوسائل الهامة التي يعتمد عليها التعليم في مختلف مراحله، وساعدت الصحف من خلال الإعلانات التي تنشرها على تصريف قدر هائل من السلع المنتجة في المصانع، وإيجاد فرص العمل، وتوفير الأيدي العاملة للباحثين عنها.

وجاءت الثورة الصناعية للصحف مع مطلع القرن العشرين بالمطبعة البخارية أولاً، ومن ثم بالمطبعة الكهربائية، مما ساعد على خفض تكاليف طباعتها، وأجور الإعلانات على صفحاتها وزيادة عدد نسخها، مما ساعدها على الانتشار الواسع وتحولها إلى وسيلة اتصال جماهيري، رخيصة الثمن توزع أعداداً ضخمة من النسخ يعتمد عليها لنشر إعلانات مربحة للمنتج والناشر في آن معاً. ومن الميزات الهامة الأخرى التي تنفرد بها المادة المطبوعة عن غيرها من وسائل الإعلام الجماهيري، أنها تسمح للقارئ بالتكيف مع الظروف ومطالعتها في الوقت الملائم له، وإعادة القراءة كلما أراد، إضافة إلى أنها من أفضل الوسائل لمخاطبة الجماعات والشرائح الاجتماعية الصغيرة والمتخصصة.

الصحافة المسموعة (الراديو): تعتبر الإذاعة المسموعة من أفضل وسائل الاتصال الجماهيري قدرة على الوصول للمستمعين في أي مكان بسهولة ويسر متخطية الحواجز الجغرافية والسياسية والأمية، لأنها تستطيع مخاطبة الجميع دون

تمييــز وبغض النظر عن فارق الســن ومســتوى التعليم، ولا تحتــاج لظروف وأوضاع خاصة للاســتماع كــما هي الحــال بالنســبة للإذاعة المرئيــة (التلفزيــون)، حتى أنهــا أصبحت في بعــض المجتمعات المتقدمــة نوعاً من الوســائل الإعلاميــة التي يتعامــل معها الإنســان دون اهتــمام أو تركيز، كمصدر للترفيــه أكثر من أنها مصــدراً للمعلومــات يحتاج للتركيز والاهتــمام. ومن الصعب جــداً تحديد أصل الاختراعــات العلمية التــي أدت إلى ظهور الإذاعة المســموعة، التي تعتبر اليوم واحدة من أهم وســائل الإعلام الجماهيرية. ففي الفترة من ١٨٩٠ إلى ١٨٩٤ اكتشــف برافلي المبادئ الأساســية للمبرق اللاســلكي، ونجحــت تجــارب ماركوني التي أجراها خــلال الفترة من عــام ١٨٩٤وحتى عــام ١٨٩٩ عندما نجح في إرســال أول برقية لاســلكية عبر بحر المانش.

وتطـورت الأبحـاث العلميـة بعـد ذلـك، حتـى اسـتطاع المهنـدس الفرنـسي رايمونـد برايـار، وزميلـه الدكتـور البلجيـكي روبـير فولـدا سـميث، مـن إرسـال واسـتقبال بـث إذاعـي عـن بعـد عـدة كيلـو مـترات عـام ١٩١٤، وتوقفـت التجـارب بعـد ذلـك بسـبب الحـرب العالميـة الأولى، إلى أن عـادت مـرة أخـرى إلى دائـرة الاهتـمام بعـد انتهـاء الحـرب مبـاشرة .وبـدأت أول البرامـج الإذاعيـة اليوميـة المنظمـة البـث مـن ديـتروا نيـوز في الولايـات المتحـدة الأمريكيـة عـام ١٩٢٠، وتبعتهـا بريطانيـا التـي نظـم فيهـا دايـلي مايـل أول برنامـج إذاعـي في نفـس العـام. أمـا فرنسـا فقـد نجـح الجـنرال فـيري مـن إرسـال أولى البرامـج الإذاعيـة عـام ١٩٢١.

وتعتـبر العشرينـات مـن القـرن العشريـن فـترة هامـة في حيـاة هـذا الاخـتراع الهـام، الآخـذ في التطـور والتوسـع .ورافقـه في عـام ١٩٢٥ اخـتراع البيـك آب الكهربـائي، وفي عـام ١٩٣٤ اخـتراع التسـجيل عـلى الاسـطوانات المرنـة، وآلـة التسـجيل عـام ١٩٤٥، وتمكـن الأمريكيـان براتـان وبـاردن عـام ١٩٤٨ مـن اخـتراع المذيـاع، الـذي انتـشر في الأوسـاط الشـعبية اعتبـارا مـن عـام ١٩٥٠وتبـع هـذا الاخـتراع عـام ١٩٥٨ اخـتراع اسـطوانة التسـجيل السـتريو التـي انتقـل البـث الإذاعـي معهـا إلى مرحلـة جديـدة.

الصحافــة المرئيــة (التلفزيــون): بــدأت أولى التجــارب عــلى إرســال الصــور الثابتــة باللونــين الأســود والأبيــض عــن بعــد في منتصــف القــرن التاســع عــشر، وتطــور هــذا الاخــتراع حتــى اســتطاع الألمــاني دي كــورن مــن اخــتراع الفوتوتلغرافيــا عــام ١٩٠٥، وجــاء

بعـده الفرنـسي إدوارد بلـين، الـذي طـور الاخـتراع الأول وأطلـق عليـه اسـم البيلينوغـراف عـام ١٩٠٧. واسـتمرت هـذه التجـارب بالتطـور مسـتخدمة وسـائل ميكانيكيـة أولاً ثـم راديـو كهربائيـة، حتـى توصـل كلاً مـن الإنجليـزي جـون لوجـي بيـارد والأمريـكي س .ف. جنكيـس إلى وسـيلة إرسـال تسـتعمل فيهـا اسـطوانة دورانيـة مثقوبـة عـام .١٩٢٣وتكللـت التجـارب التـي جـرت خـلال ثلاثينـات القـرن العشريـن بالنجـاح، حيـث بـدأ مركـز أليكسـاندر بـلاس البريطـاني للتلفزيـون بالبـث التلفزيـوني لمـدة سـاعتين يوميـاً عـام ١٩٣٦، وتبعـه المركـز الفرنـسي في لاتوريفـال ببـث برامـج تلفزيونيـة يوميـة عـام ١٩٣٨، وتبعتهـا الولايـات المتحـدة الأمريكيـة في العـام التـالي ببـث تلفزيـوني لجمهـور كبـير. وأخـرت الحـرب العالميـة الثانيـة البدايـة الفعليـة لانتشـار البـث التلفزيـوني للجمهـور العريـض حتـى عامـي ١٩٤٥ - ١٩٤٦ أي عقـب انتهـاء الحـرب العالميـة الثانيـة.

وبـدأ في الخمسـينات مـن القـرن العشريـن الانتقـال التدريجـي إلى نظـام البـث التلفزيـوني الملـون، وتبعـه الانتشـار العاصـف للبـث التلفزيـوني بواسـطة الـدارات المغلقـة، ومحطـات التقويـة الأرضيـة، إلى أن انتقـل البـث التلفزيـوني عـبر الأقـمار الصناعيـة مـع تطـور غـزو الإنسـان للفضـاء الكـوني الـذي بـدأ في نفـس الفـترة تقريبـاً. وللتلفزيـون فاعليـة فريـدة لأنـه الوسـيلة التـي تعتمـد عـلى حاسـتي السـمع والبـصر في آن معـاً، ويسـتحوذ عـلى الاهتـمام الكامـل للجمهـور، أكـثر مـن الوسـائل الإعلاميـة الأخـرى، وخاصـة في أوسـاط الأطفـال واليافعـين، وكشـفت بعـض الدراسـات أن الصغـار والكبـار عـلى حـد سـواء يميلـون إلى تقبـل كل مـا يقدمـه التلفزيـون بـدون مناقشـة، لأنهـم يعتبرونـه واقعيـاً ويعلـق في أذهانهـم بصـورة أفضـل.

والاختـلاف بـين التلفزيـون والراديـو، أن التلفزيـون يحتـاج لحاسـتي السـمع والبـصر وانتباهـاً لا يسـتطيع المتفـرج معـه أن يفعـل شـيئاً آخـر أثنـاء المشـاهدة، في حـين أن المسـتمع للإذاعـة المسـموعة (الراديـو) يسـتطيع أثنـاء استـماعه أن يقـرأ ويمـشي ويعمـل ويقـود سيـارته، أو أن يسـتلقي مغمضـاً عينيـه سـارحاً في خيالـه. ومـن المزايـا التـي يتميـز بهـا التلفزيـون عـن سـواه مـن وسـائل الإعـلام الجماهيريـة: أنـه أقـرب للاتصـال المبـاشر، ويجمـع بـين الصـورة والصـوت والحركـة والألـوان، ويتفـوق عـن الاتصـال المبـاشر بأنـه يكـبر الأشـياء الصغـيرة،

ويحرك الأشياء الثابتة؛ وينقل الأحداث فور حدوثها، وبفارق زمني طفيف؛ ويسمح بأساليب متعددة لتقديم المادة الإعلانية، مما يضاعف من تأثيرها على الجمهور؛ وأصبح وسيلة قوية بين وسائل الإعلام الجماهيرية بعد أن دخل كل بيت، ووفرت له الأقمار الصناعية المنتشرة في الفضاء الكوني انتشارا عالمياً، مما زاد من فاعلية عملية التبادل الإعلامي والثقافي العالمي، وأصبح وسيلة تقارب بين الشعوب.

وهكذا نرى كيف تغير وضع الإنسان الذي عاش قديماً في مجتمعات صغيرة، محدودة العدد معزولة عن بعضها البعض، يصعب الاتصال فيما بينها، ليأتي القرن العشرين ليغير الوضع تماماً لسببين أساسيين نلخصهما: بنشوب الحرب العالمية الأولى (١٩١٤ - (١٩١٨، والحرب العالمية الثانية (١٩٣٩ - ١٩٩٤٥)، وما تمخض عنهما من انتقال للقوات العسكرية عبر الدول والقارات، وهذا بحد ذاته ساعد على تطوير وسائل المواصلات البرية والبحرية والجوية، ومعها تطورت الطرق البرية والمائية والسكك الحديدية والموانئ البحرية والجوية؛ وانتشرت وسائل الاتصال الحديثة، من تلغراف وتلفون وراديو وتلكس وفاكس وحاسوب (كمبيوتر) وبريد إليكتروني، ووسائل إعلام جماهيرية، من صحف ومجلات وإذاعة وتلفزيون. مما « أحدث تغيرات جذرية على تصورات المواطنين في جميع أنحاء العالم، واتسع أفق الأفراد وإطارهم الدلالي بشكل لم يسبق له نظير، بحيث لم يعد بالإمكان عزل الناس عقلياً أو سيكولوجياً عن بعضهم البعض لأن ما يحدث في أي بقعة من بقاع العالم، يترك آثاره على جميع الأجزاء الأخرى.

وهكذا أصبح عالم اليوم قرية الأمس بعد أن اتسعت تصورات الفرد التقليدي القديم التي كانت تتسم بالبساطة عن واقعه وأصبح عليه أن يجاهد حتى يفهم الأخبار التي تغمره بها وسائل الإعلام الجماهيرية يومياً عن أحوال الأمم والشعوب الأخرى المختلفة الألوان والعقائد.

وخرجت وسائل الإعلام الجماهيرية بالتدريج عن إطارها المحلي لتصبح أداة اتصال وتواصل بين الأمم لها دوراً مرسوماً ومحدداً في إطار العلاقات الدولية، وعملية التبادل الإعلامي الدولي، ودخلت ضمن الأدوات والوسائل التي تحقق من خلالها مختلف الدول والمنظمات الدولية والإقليمية والمحلية بعضاً من سياساتها الخارجية.

وبالتدريج انتقلت المؤسسات الصحفية الدولية للعمل على نشر المبادئ والأفكار والمواقف والأخبار عن طريق وسائل الإعلام الجماهيرية المختلفة بغرض الإقناع والتأثير على الأفراد والجماعات داخل المجتمع، فعندما تخرج المؤسسات الإعلامية عن نطاق المحلية وتجتاز وسائلها الحدود الجغرافية والسياسية للدولة، لنقل تلك المبادئ والأفكار والمواقف والأخبار لمواطني دول أخرى، لخلق نوع من الحوار الثقافي أو الهيمنة الثقافية، متجاوزة الحواجز اللغوية، تأخذ هذه المؤسسات الصحفية ووسائلها الإعلامية صفة الإعلام الدولي.

والإعلام الدولي جزء لا يتجزأ من السياسة الخارجية للدول المستقلة ذات السيادة، ووسيلة فاعلة من الوسائل التي تحقق بعض أهداف السياسة الخارجية لكل دولة داخل المجتمع الدولي. وتخدم من خلالها المصلحة الوطنية العليا للدولة، وفقاً للحجم والوزن والدور الذي تتمتع به هذه الدولة في المعادلات الدولية، وتأثيرها وتأثرها بالأحداث العالمية المستجدة كل يوم؛ وخاصة عند نشوب أزمات سياسية أو اقتصادية أو عسكرية أو اضطرابات اجتماعية تطال تلك الدول، أو الدول المجاورة لها؛ أو تطال مناطق المصالح الحيوية للدول الكبرى في أنحاء العالم؛ أو في حال حدوث كوارث طبيعية وأوبئة، أو تهديدات للبيئة والحياة على كوكب الأرض.

وللإعلام الدولي دوافع متعددة، تنطلق من المصالح السياسية، والاقتصادية، والعسكرية، والاجتماعية، والثقافية، والإنسانية، بما يتفق والسياسة الخارجية للدولة، وتنبع من المصالح الوطنية العليا للدولة، وتعمل من خلال هذا المنظور على تعزيز أو تعكير التفاهم الدولي والحوار بين الأمم، الذي أدى إلى خلق تصور واضح للدول بعضها عن بعض، مفاده التحول من النظام الثقافي القومي التقليدي المغلق، إلى نظام ثقافي منفتح يقوي هيمنة القوي أو يعزز التفاهم الدولي ويعمل على تطويره.

وكان لوسائل الإعلام الجماهيرية دوراً أساسياً في هذا التحول بعد التطور الهائل في تقنياتها خلال القرن الماضي والتي ساعدت على إحداث تغيير ثقافي واجتماعي واضح، رغم تضارب المصالح الاقتصادية والسياسية والصراعات الإيديولوجية المؤثرة في القرار السياسي اللازم لأي تقارب أو حوار دولي.

***

المجتمع المعلوماتى
وتداعيات العولمة

مع بداية التسعينات من القرن العشرين ومع انهيار الاتحاد السوفييتي السابق ودول ما كان يعرف بالكتلة الشرقية التي كان يقودها الاتحاد السوفييتي السابق، وعلى ضوء التطورات الهامة التي جرت على جميع الأصعدة العلمية والتقنية والتكنولوجية في العالم، وخاصة تكنولوجيا وسائل الإعلام والاتصال والاستشعار عن بعد، انطلقت بشدة شعارات تدعو للتكامل بين المجتمعات الصناعية المتقدمة، وفتح باب المنافسة الحرة وإزالة العوائق أمام انتقال الخبرات والبضائع ورؤوس الأموال في الأسواق العالمية المفتوحة.

ورافق تلك الشعارات بشائر ميلاد المجتمع المعلوماتي الذي يمكن أن تشارك في بنائه كل عناصر التركيبة الاجتماعية، في عملية تفاعل معلوماتي باتجاهين أخذاً وعطاءاً. واعتبر الكثيرون أن ميلاد المجتمع المعلوماتي يبشر بالتحول من تقديم الخدمات الإعلامية للمتلقي السلبي في عملية الاتصال، الذي يتلقى سيل المعلومات الموجهة إليه ولمجتمعه دون مشاركة إيجابية منه في اختيار أو إعداد أو في أساليب نشر تلك المعلومات عبر وسائل الاتصال والإعلام الجماهيرية التقليدية المختلفة، إلى مشاركة عناصر التركيبة الاجتماعية القادرة كلها في عملية اختيار وإعداد وتخزين وتوجيه ونشر والاستفادة من المعلومات، والمشاركة المؤثرة والفاعلة في عملية التبادل والتفاعل الإعلامي داخل المجتمع الواحد بكل عناصره وشرائحه، وبين المجتمعات المختلفة بشكل عام، بما يوفر فرص الحوار، والتفاهم، والتفاعل البناء لصالح تقدم الإنسانية جمعاء.

ومعروف أن الأساليب الإعلامية المستخدمة والمنتشرة بشكل واسع حالياً، لم تكن إلا نتاجاً للتقدم العلمي في مجال وسائل الاتصال والإعلام، ونتيجة للأبحاث العلمية التامة في مجال الإعلام بفروعه المختلفة: الاقتصادية والسياسية والعلمية والزراعية

والصناعيـة والتجاريـة والثقافيـة وغيرهـا مـن فـروع المعرفـة الإنسـانية، التـي جـرت خـلال النصـف الأول مـن القـرن العشريـن ولم تـزل مسـتمرة في التطـور في العـالم المتقـدم كلـه حتـى اليـوم. وكان وكـما هـو معـروف أيضـاً نـشر تلـك المعلومـات يتـم بالطـرق التقليديـة عـبر الكلمـة المطبوعـة، والمسـموعة والمرئيـة أحاديـة الجانـب إي مـن المرسـل إلى المسـتقبل، دون أن تكـون هنـاك أيـة إمكانيـة للتفاعـل الإيجـابي بـين المرسـل والمسـتقبل عـبر الطـرق التقليديـة السـائدة لنقـل لتلـك المـادة الإعلاميـة التـي حملتهـا إليـه شـتى وسـائل نقـل وتخزيـن وإيصـال المعلومـات المقـروءة والمسـموعة والمرئيـة.

ولكـن الثـورة التـي تفجـرت بشـدة خـلال الربـع الأخـير مـن القـرن العشريـن في مجـال تقنيـات ووسـائل الإعـلام والاتصـال والاستشـعار عـن بعـد، وضعـت البشريـة أمـا منعطـف تاريخـي حاسـم تشـارك فيـه اليـوم، كل عنـاصر التركيبـة الاجتماعيـة القـادرة عـلى المشـاركة في عمليـة التأثـير والتفاعـل المتبـادل مـن خـلال عمليـة التبـادل الإعلامـي المسـتمرة داخـل المجتمـع المحـلي والـدولي، عـبر وسـائل الاتصـال الحديثـة التـي أصبحـت فيهـا تقنيـات الحاسـب الآلي الحديثـة دائمـة المتطـورة تشـكل العنـصر الهـام والفاعـل في حسـم القضيـة كلهـا لصالـح العولمـة بـكل أشـكالها وأبعادهـا.

وأصبـح الحاسـب الآلي الشـخصي المرتبـط اليـوم بشـبكات المعلومـات المحليـة والإقليميـة والدوليـة، يخـزن وينقـل وينـشر المعرفـة بـكل أشـكالها المقـروءة والمسـموعة والمرئيـة، ليحـدث بذلـك ثـورة حقيقيـة داخـل الأنظمـة الإعلاميـة التقليديـة، وأنظمـة تراكـم المعلومـات واسـتعادتها.

وأصبـح يسـاهم في تطويـر عمليـة نقـل المعرفـة التقليديـة داخـل المجتمعـات بعـد أن انتقلـت لاسـتخدام تقنيـات الأنظمـة المعلوماتيـة الإلكترونيـة الحديثـة في مجـالات العلـوم والبحـث العلمـي والتعليـم إلى جانـب فـروع الأنشـطة الإنسـانية المختلفـة. مـما وفـر فرصـة كبـيرة لرفـع مسـتوى الأداء العلمـي والمعـرفي وأفسـح المجـال أمـام عمليـة الحصـول عـلى المعـارف المختلفـة ودمجهـا وإعـادة نشرهـا، وتسـهيل اسـتخدامها في عمليـة تفاعـل دائمـة لا تتوقـف.

وأصبح هـذا الواقـع الجديـد بديـلاً للطـرق الإعلاميـة التقليديـة، وبمثابـة التحـول مـن المألـوف في أسـاليب وطـرق التعليـم والإعـداد المهنـي والمسـلكي المتبعـة حتـى الآن في بعـض الـدول الأقـل حظـاً في العـالم، إلى أسـاليب أكـثر تطـوراً وأكـثر فاعليـة مـن ذي قبـل. ويرتبـط هـذا التحـول بظاهـرة العولمـة والتكامـل المتناميـة في النشـاطات الإعلاميـة الضروريـة واللازمـة لتطـور الثقافـة والعلـوم والتعليـم والبحث العلمـي، في إطـار مـا أصبـح يعـرف اليـوم بالمجتمـع المعلومـاتي.

مفهوم المجتمع المعلوماتي:

ومـن أجـل تسـهيل فهـم القصـد مـن العولمـة الإعلاميـة التـي حملـت لنـا معهـا مفهـوم المجتمـع المعلومـاتي إن جـاز هـذا تعبـير، لابـد لنـا مـن محاولـة التعريـف بجوهـر هـذا المجتمـع، فهـو حسـب رأي العديديـن مـن الباحثـين في شـؤون الإعـلام والاتصـال، هـي:

١. المجتمـع الـذي تتـاح فيـه لـكل فـرد فرصـة الحصـول عـلى معلومـات موثقـة مـن أي شـكل ولـون ومذهـب واتجـاه مـن أي دولـة مـن دول العـالم دون اسـتثناء، عـبر شـبكات المعلومـات الدوليـة، بغـض النظـر عـن البعـد الجغـرافي وبأقـصى سرعـة وفي الوقـت المناسـب للمشـارك في عمليـة التبـادل الإعلامـي؛

٢. المجتمـع الـذي تتحقـق فيـه إمكانيـة الاتصـال الفـوري والكامـل بـين أي عضـو مـن أعضـاء المجتمـع، وأي عضـو آخـر مـن المجتمـع نفسـه أو مـن المجتمعـات الأخـرى، أو مـع، أو بـين مجموعـات محـددة مـن السـكان، أو مـع المؤسسـات والأجهـزة الحكوميـة، أو الخاصـة بغـض النظـر عـن مـكان وجـود القائمـين بعمليـة الاتصـال والتبـادل الإعلامـي داخـل الكـرة الأرضيـة أو حتـى خارجهـا في الفضـاء الكـوني؛

٣. المجتمـــع الـــذي تتكامـــل فيـــه نشـــاطات وســـائل الإعـــلام والاتصـــال الجماهيريـــة التقليديـــة، وتتســـع فيـــه إمكانيـــات جمـــع وحفـــظ وإعـــداد ونـــشر المعلومـــات المقـــروءة والمســـموعة والمرئيـــة، مـــن خـــلال التكامـــل مـــع شـــبكات الاتصـــال والمعلومـــات الإلكترونيـــة الرقميـــة الدوليـــة دائمـــة التطـــور والنمـــو والاتســـاع. والتـــي تشـــكل بالنتيجـــة وســـط إعلامـــي مـــرئي

ومسموع ينشر معلوماته عبر قنواته التي تشمل حتى وسائل الإعلام والاتصال الجماهيرية التقليدية من خلال شبكات الاتصال والمعلومات المحلية والإقليمية والدولية؛

٤. المجتمع الذي تختفي معه الحدود الجغرافية والسياسية للدول التي تخترقها شبكات الاتصال والمعلومات، وهو الاختراق الذي يشكل تهديداً مباشراً وخطيراً لأمن وقوانين الدول وللأعراف والتقاليد داخل المجتمعات المختلفة، وخاصة في الدول الأقل حظاً في التطور والنامية بشكل عام.

ويعتبر انتقال ونشر المعلومات دون عوائق أو قيود من أساسيات تشكيل المجتمع المعلوماتي، الذي يعتمد بالكثير على المنجزات والاكتشافات العلمية في مجال تقنيات الإعلام والاتصال. وهو ما يضع الأوساط العلمية أمام واجب التصدي لمشاكل غير متوقعة، ناتجة عن تداعيات تشكل المجتمع المعلوماتي، سواء أكانت تنظيمية أم اجتماعية أم اقتصادية أم قانونية.

والهدف من التصدي لتلك المشاكل هو خلق الظروف الملائمة لتلبية حاجات السوق الاستهلاكية المعلوماتية، دون الإضرار بمصالح الدول وحقوق المواطنين وأمن وسلامة أجهزة السلطات الدستورية، والمؤسسات الاقتصادية والمنظمات الشعبية والمهنية والعلمية، والهيئات العامة والخاصة، من خلال إيجاد الضوابط الكفيلة بتوفير شروط الأمن الإعلامي الشامل عند تشكيل وتداول الموارد المعلوماتية باستخدام تكنولوجيا الإعلام والاتصال المتطورة.

خطوات الانتقال إلى المجتمع المعلوماتي

وبالفعل نرى أن الكثير من دول العالم المتقدم تقوم فعلياً بإعداد أو تعد برامج لدخول المجتمع المعلوماتي، وتتخذ العديد من الخطوات العملية من أجل تحقيق مثل تلك البرامج في الواقع العملي. وتنتظر تلك الدول من تطبيق تلك البرامج الوصول إلى الأهداف التالية:

١. رفع مستوى التكامل والحوار بين الهياكل الحكومية، والصناعية، ورجال الأعمال، والأفراد في المجتمع، بهدف تحقيق الاستخدام الأقصى لإمكانيات تقنيات الإعلام والاتصال الحديثة من أجل تطوير المجتمع اقتصادياً وتحقيق فرص العمل لكل الشرائح السكانية؛

٢. تحديث وتوسيع وتقوية البنية التحتية لوسائل الإعلام والاتصال التقليدية ورفع مستوى فاعلية أدائها الوظيفي؛

٣. الدفاع عن مصالح المجتمع، وحقوق الأفراد أثناء استخدام تكنولوجيا تخزين ونقل المعلومات؛

٤. حماية موارد المعلومات المتوفرة في الشبكات المعلوماتية؛ وتوسيع إمكانيات استخدام تكنولوجيا الإعلام والاتصال في كافة المجالات العلمية والتطبيقية للاقتصاد الوطني؛

٥. تشجيع وتعميم استخدام تكنولوجيا الإعلام والاتصال وتعميم أساليب المعلوماتية الحديثة في الأجهزة الحكومية، قبل غيرها بغية تأمين حقوق المواطنين في تبادل المعلومات والحصول عليها من تلك الأجهزة؛

٦. تعميم استخدام تكنولوجيا الإعلام والاتصال على جميع الأنشطة الإنسانية، مثل: العمل، والمواصلات، وحماية البيئة، والصحة وغيرها من الأنشطة الإنسانية التي تهم المجتمع بأسره؛

٧. توفير إمكانيات المنافسة الحرة والشريفة في إطار المجتمع الإعلامي؛

٨. تحسين ظروف وصول وتداول المعلومات التكنولوجية والتقنية والبيئية والاقتصادية والعلمية وغيرها من الموارد المعلوماتية عبر شبكات الإعلام والاتصال؛

٩. تطوير البحوث العلمية والبحوث التمهيدية في مجال تطوير تكنولوجيا وتقنيات الإعلام والاتصال؛

١٠. تنسيق الجهود الوطنية والقومية والدولية أثناء وضع سياسة الانتقال إلى المجتمع المعلوماتي بما يضمن تحقيق المصالح الوطنية من التعاون الدولي والاعتماد المتبادل بين الدول.

وفي هذه الحالة يجب أن يصبح المجال الإعلامي الدولي ليس أحد أهم مجالات التعاون الدولي فقط، وإنما مجالاً للتنافس الحر والشريف بين الدول الأكثر تطوراً والتي تملك البنية التحتية الإعلامية الحديثة، من خلال وضع مقاييس تكنولوجية موحدة لمنتجاتها من تكنولوجيا وتقنيات وسائل الإعلام والاتصال الجماهيرية. وأن تقدمها للمستهلكين من الدول غير المصنعة لتلك الوسائل أي الدول النامية، دون فرض أية شروط على كيفية تشكيل واستثمار البنى التحتية الإعلامية في تلك الدول، وأن ينحصر تأثير الدول المتقدمة على تطوير المجالات الإعلامية للدول غير المصنعة لتكنولوجيا الإعلام والاتصال فقط، دون التأثير على مواردها المعلوماتية. بما يضمن عدم المساس بالأمن والمصالح الوطنية العليا للدول الصناعية المتطورة والدول الأقل تطوراً والدول النامية على حد سواء، أثناء وضع سياسات تطوير وتوفير وحماية أمن المجالات الإعلامية للدول الصناعية المتطورة.

مصاعب الانتقال إلى المجتمع المعلوماتي

وبغض النظر عن الوضع المالي الصعب الذي تعاني منه بعض الدول الأقل تطوراً كروسيا مثلاً، فإننا نراها قد استطاعت الحفاظ على الاتجاهات الأساسية للعلوم المرتبطة بالتطور الصناعي. من حيث تطوير شبكة المؤسسات العلمية، والحفاظ على مستوى التأهيل المهني فيها، وتطوير المدارس التقنية، وتطوير نظام إعداد الكوادر ورفع مستواها المهني عن طريق التدريب المستمر طيلة مدة الخدمة الفعلية لتلك الكوادر، واستطاعت المحافظة على كمية وتنوع المجلات العلمية المتخصصة، مستفيدة إلى أبعد الحدود من التعاون الدولي المتاح لها. ولكن المشكلة الرئيسية في روسيا وتلك الدول بقيت في مستوى توفير المعلومات العلمية المتطورة من الدول المتقدمة، وحجم ونوعية وطبيعة البنى التحتية المعلوماتية اللازمة في مجال العلوم والتعليم والبحث العلمي.

لأن مشكلة إعداد نظم الاتصال الكفيلة بتوفير الموارد المعلوماتية الضرورية لتطور العلوم النظرية والتطبيقية في ظروف إصلاح النظم الإعلامية القائمة والتطور الاقتصادي تحتم على تلك الدول أن يكون التصدي لهذه المشكلة من المهام الأساسية للسياسة الحكومية وواجباتها لتلبية احتياجات نمو وتطور الاقتصاد الوطني. سيما وأن العنصر الرئيسي اللازم للأبحاث العلمية والاستفادة العملية من نتائجها، يبقى مرتبطاً بالكامل بأشكال وأساليب توفير المعلومات والحقائق العلمية الحديثة والمتطورة. أخذين بعين الاعتبار أهمية مؤشرات ونوعية الموارد المعلوماتية المتاحة لكوادر البحث العلمي في أي بلد من بلدان العالم. لأن أي قصور في تأمين حاجة الباحثين العلميين من المعلومات الضرورية لمواضيع أبحاثهم العلمية سيؤدي حتماً ومن دون أدنى شك إلى تأخير تطور البحث العلمي، وبالتالي إلى تخلف حركة التطور العلمي والاقتصادي والثقافي والمعرفي في جميع فروع الاقتصاد الوطني.

وتحت تأثير مجموعة من الأسباب الموضوعية القائمة في الدول الأقل تطوراً وفي الدول النامية، لابد من إعادة النظر بكل مستويات أنظمة توفير الموارد المعلوماتية العلمية للمجتمع، بما فيها التعليم والبحث العلمي والاقتصاد الوطني بشكل عام. والتي هي عادة أقل كلفة مما هي في الدول المتطورة، خلال فترة المرحلة الانتقالية من الخدمات الإعلامية إلى المجتمع المعلوماتي المنفتح.

كما ونلمس في تلك الدول مدى محدودية الإمكانيات والموارد المتاحة التي لا تكفي حتى لتزويد المكتبات الوطنية ومراكز المعلومات الوطنية بالإصدارات الدورية العلمية المتخصصة والتقنية، سواء منها المطبوعة أم الإلكترونية محلية كانت أم أجنبية. ومع ذلك فإننا نلمس تفاؤلاً كبيراً في تلك الدول يتجه نحو إمكانية حل تلك المعضلات في إطار برامج التعاون العلمي الدولي، وإطار الاعتماد المتبادل بين دول العالم من أجل تحسين أداء شبكات الموارد الإعلامية العلمية الإلكترونية الدولية، وتخفيض تكاليفها، وأجور استثمارها لمجالات البحث العلمي للدول التي تعاني من مشاكل مالية على الأقل. ومساعدة تلك الدول على إقامة شبكاتها الإعلامية العلمية وبنوك المعلومات الخاصة بها، ومكتباتها الإلكترونية ووضعها تحت تصرف المستخدمين في تلك الدول.

خاصـة وأننـا نـرى مـن خـلال نظـرة سريعـة في عـالم اليـوم أن المؤسسـات العامـة والخاصـة عـلى السـواء، في أكـثر دول العـالم تقـوم اليـوم باسـتخدام تكنولوجيـا المعلومـات المتقدمـة والحديثـة، بغـض النظـر عـن المشـاكل الماليـة والاقتصاديـة التـي تعـاني منهـا تلـك الـدول.

وأن العديـد مـن دول العـالم تقـوم اليـوم بإنتـاج مصنفـات معلوماتيـة إلكترونيـة عـلى الأسـطوانات المضغوطـة وغيرهـا مـن التقنيـات الناقلـة للمعلومـات، إضافـة لظهـور آلاف النوافـذ Web في شـبكة الانترنيـت Internet العالميـة، فتحتهـا وتقـوم بتشـغيلها المؤسسـات الحكوميـة والعامـة والخاصـة وحتـى الأفـراد في مختلـف دول العـالم.

وتحـوي تلـك النوافـذ عـلى كـم هائـل مـن المعلومـات المتنوعـة العلميـة والثقافيـة والتجاريـة وغـير التجاريـة والاقتصاديـة والسياسـية والترفيهيـة, والثقافيـة وغيرهـا، إضافـة للبرامـج التعليميـة والتربويـة والتثقيفيـة بمـا فيهـا برامـج التعلـم عـن بعـد. كـما ونـرى سـعي مؤسسـات التعليـم العـالي والمتوسـط والمكتبـات العامـة وحتـى المتاحـف ووسـائل الإعـلام الجماهيريـة التقليديـة المغمـورة في مختلـف دول العـالم لفتـح نوافذهـا Web الخاصـة في شـبكة الانترنيـت العالميـة.

ضرورة وضع ضوابط للانتقال إلى المجتمع المعلوماتي :

الوضـع الـذي يفـرض عـلى تلـك الـدول الإسراع في وضـع خطـط شـاملة تنطلـق مـن أسـس موضوعية وواقعيـة وموجـه في إطـار برامـج ومشـاريع التنميـة الشـاملة لإنشـاء بنيـة تحتيـة إعلاميـة وطنيـة تعتمـد عـلى برامـج التعـاون الإقليمـي والـدولي في هـذا المجـال الهـام، وتوجيـه تلـك البرامـج والمشـاريع لخدمـة وتطويـر البحـث العلمـي وتأمـين توزيـع المـوارد المعلوماتيـة توزيعـاً سـليماً وحمايتهـا، بمـا يكفـل الوصـول إلى المسـتوى العالمـي المطلـوب للخدمـات المعلوماتيـة عـبر الشـبكات الإلكترونيـة في كل المجـالات العلميـة والتعليميـة والثقافيـة والطبيـة والاقتصاديـة والمواصـلات وغيرهـا مـن المجـالات الهامـة لمشـاريع التنميـة والاقتصـاد الوطنـي بشـكل عـام.

وإقامـة نظـام متكامـل للمـوارد المعلوماتيـة وتوزيعهـا، يعنـي إقامـة شـبكات اتصـال إلكترونيـة تعتمـد عـلى الحاسـبات الآليـة الشـخصية، تسـتخدم مقاييـس معينـة متفـق عليهـا لإدخـال واسـترجاع المعلومـات بشـكل مـدروس وممنهـج، وإعـادة توزيـع تلـك المعلومـات عـلى المسـتخدمين محلياً وإقليمياً وعالميـاً .ومـشروع كهـذا يمكـن أن يبـدأ في إطـار شـبكة المؤسسـات الحكوميـة التـي يمكـن أن تتكامـل مـع شـبكات المـوارد الإعلاميـة وبنـوك المعلومـات الأخـرى الكـبرى داخـل الدولـة، وداخـل دول الجـوار الإقليمـي، والشـبكات العالميـة، آخذيـن بعـين الاعتبـار مصالـح الأمـن القومـي والمصالـح العليـا للدولـة في إطـار هـذا التكامـل، والـذي يمكـن أن يأخـذ الشـكل التـالي:

١. الشـبكات الإلكترونيـة المرتبطـة بـوزارة الإعـلام والمؤسسـات الإعلاميـة أي المـشروع الوطنـي لبنـوك المعلومـات.

٢. الشـبكات الإلكترونيـة العلميـة للمكتبـات ومراكـز المعلومـات لمؤسسـات التعليـم المتوسـط والعـالي ومراكـز البحـث العلمـي.

والتـي بدورهـا يمكـن أن تتكامـل مـع الشـبكات الإلكترونيـة الإقليميـة والدوليـة. والإنفـاق عـلى مثـل تلـك الشـبكات يمكـن توفـيره مـن خـلال التعـاون المشـترك وتضافـر الإسـهامات الماليـة المحليـة والإقليميـة والدوليـة للمعنيـين بتنظيـم تراكـم ومعالجـة وتـداول تلـك المعلومـات.

والأهـم مـن كل ذلـك أن تنظيـم البنيـة التحتيـة الأساسـية للمـوارد المعلوماتيـة العلميـة الوطنيـة، وتنظيـم تكاملهـا الشـبكي مـع المـوارد المعلوماتيـة الإقليميـة والدوليـة لابـد وأن يمـر عـبر قاعـدة قانونيـة دقيقـة تشـمل حمايتهـا عـن طريـق تنظيـم:

١. الضوابـط القانونيـة للملكيـة الخاصـة، وحقـوق الملكيـة الفكريـة المشـتركة، التـي تصبـح في ظلهـا أيـة مـادة إعلاميـة أو أي مصنـف معلومـاتي إلكـتروني في الظـروف التقنيـة الحديثـة سـهل السـحب والنسـخ؛

٢. الوضع القانوني للإصدارات الإعلامية الإلكترونية ونشرها؛

٣. الضوابط القانونية لضمان عدم مخالفة مضمون المصنفات الإعلامية الإلكترونية للقوانين النافذة؛

٤. الوضع القانوني للقائمين على تقديم وتقييم الخدمات الإعلامية عبر شبكات المعلومات الإلكترونية المسموعة والمرئية؛

٥. الأوضاع القانونية والمالية لموزعي المعلومات، وخاصة المؤسسات الممولة من ميزانية الدولة وغيرها من المؤسسات؛

٦. فاعلية الرقابة على تنفيذ مشاريع تنظيم البنية التحتية للموارد الإعلامية العلمية الوطنية، وتكاملها الشبكي الإقليمي والدولي؛

٧. ضوابط الوصول للمعلومات الإلكترونية عن نتائج الأبحاث العلمية الوطنية، وشروط الاستفادة من تلك النتائج خدمة للأوساط العلمية المحلية والإقليمية والدولية.

وبقي أن نشير هنا إلى ضرورة وضع الأدلة (الفهارس) الإلكترونية والمطبوعة، ووضع أسس لنشرها في وسائل الإعلام والاتصال الجماهيرية الإلكترونية والتقليدية وتوزيعها، لضمان تسهيل عمليات الوصول للموارد المعلوماتية العلمية المحكمة عبر البنى التحتية للموارد الإعلامية الوطنية، وعبر شبكات المعلومات الدولية بما فيها شبكة الانترنيت العالمية. لأنه دون التعريف بعناوين وطرق الوصول لتلك الموارد الإعلامية العلمية المحكمة لا يمكن الاستفادة منها ومن الكم الهائل من المعلومات المتوفرة حتى الآن في شبكات المعلومات الوطنية والإقليمية والدولية بشكل كامل.

التطوير اللازم للمجتمع المعلوماتي رهن بالسياسات الحكومية:

ولا أحد ينكر أن تطور البنى التحتية المعلوماتية العلمية الإلكترونية تحتاج لموارد مادية هائلة، وأنها تعتبر من مهام بناء المجتمع المعلوماتي الذي يعتبر جزءاً لا يتجزأ من حضارة القرن الحادي والعشرين، وهي رهن بالسياسات الحكومية الرسمية،

وأن عمليــة بنــاء المجتمــع المعلومــاتي هــي عمليــة متكاملــة، تحتــاج لتكثيــف جهــود الجميــع، ومختلــف الاتجاهــات العلميــة.

ويجـب أن يؤخـذ بعـين الاعتبـار كل التخصصـات العلميـة، ومصطلحاتهـا ومشـاكلها الناشـئة نتيجـة لدخولهـا عـصر المجتمـع المعلومـاتي، ودراسـة المشـاكل الفلسـفية والاجتماعيـة والاقتصاديـة، وتأثيرهـا الناتـج عـن الانتشـار الواسـع والسريـع للمعلومـات وتكنولوجيـا الاتصـال المتقدمـة، والقيـام بمجموعـة من الأبحـاث العلميـة النظريـة والتطبيقيـة، دعـماً للجهـود المتواصلـة لخلـق الظـروف المواتيـة للانتقـال إلى المجتمـع المعلومـاتي سـمة القـرن الحـادي والعشريـن.

***

الثورة المعلوماتية

طغت على حياة الناس

فعالم اليوم يعيش ثورة معلوماتية حقيقية، طغت على حياة الناس وغيرت من طبيعة حياتهم اليومية بشكل جذري، وبدلت من تطلعاتهم، وخصائص تشكلهم في شرائح داخل المجتمع المحلي حتى أنها مست علاقة الفرد بذاته. وعلى العكس من الثورات التكنولوجية السابقة التي انطلقت من المادة والطاقة، فإن هذه التغييرات الجذرية الجديدة التي نعيشها اليوم وتعرضت لمفاهيمنا عن الزمان، والمكان، والأفق، والمسافة، والمعرفة، تشكل في جوهرها الثورة المعلوماتية الناتجة عن التطور الهائل لتكنولوجيا المعلومات ووسائل الإعلام والاتصال المتنوعة، التي توصلت إليها عبقرية الإنسان خلال القرون الأخيرة.

ورغم عدم كفاية واكتمال الدراسات العلمية التي تناولت مرحلة الثورة المعلوماتية التي تمر بها البشرية في الوقت الحاضر، فإننا نلمس من حيث الجوهر أنها قربت لنا مفاهيم الثورة المعلوماتية التي أضحت أكثر فهماً ووضوحاً من ذي قبل.

العولمة والتكنولوجيا والمجتمع المعلوماتي :

ومع حلول عصر العولمة بتداعياته العلمية، والإعلامية، والاقتصادية، والسياسية، والعسكرية، والثقافية، برزت على الساحة آراء مختلفة تتباين في تقديرها لمدى تأثير تلك العولمة وخاصة الاقتصادية على تطور بعض الدول وعلى الحضارة الإنسانية بشكل عام. خاصة وأن العولمة كانت نتاجاً واقعياً لتطور وسائل وتقنيات وتكنولوجيا المعلومات والإعلام والاتصال والاستشعار عن بعد، ووسائل نقل وتخزين والتعامل مع المعلومات واسترجاعها. الأمر الذي سمح في نفس الوقت بإحداث نقلة نوعية وتغيير في الأدوار التي أصبحت تؤديه وسائل الإعلام الجماهيرية التقليدية في المجتمع بعد حلول عصر العولمة المعلوماتية، وانتقالها من دور تقديم الخدمات الإعلامية للمجتمع، إلى دور المشارك الفعال في الشبكة الكثيفة متعددة الأطراف التي تشبه اليوم إلى حد

ما نسيج خيوط العنكبوت، يتصل من خلالها ويتفاعل مع غيره عبر اتصال كثيف وتبادل معلوماتي مباشر ملايين البشر على الكرة الأرضية، دون عوائق أو قيود تذكر، في مجتمع أصبح يطلق عليه تسمية «المجتمع المعلوماتي» المتشابك بواسطة شبكات الحاسبات الآلية الشخصية المنتشرة في كل أرجاء العالم المتقدم.

وصناعة وتطوير وانتشار استخدام تكنولوجيا المعلومات والاتصال والإعلام كأي تكنولوجيا أخرى توصلت إليها عبقرية الإنسان، مرتبطة بالمواقف والقرارات السياسية السليمة التي تأتي في الوقت المناسب، والمبنية على التقديرات الاقتصادية والمصالح الإستراتيجية والأمنية الوطنية العليا. وتكنولوجيا المعلومات والإعلام والاتصال كغيرها انطلقت من فكرة رفع الطاقة الإنتاجية للعمل وتحسين أداؤه في بعض المواقع المحددة، وهو ما سبب بعض الإخفاقات التي واجهتها تكنولوجيا المعلومات والاتصال والإعلام، بسبب أخذها في الاعتبار النواحي التقنية فقط، وإهمالها للنواحي الاجتماعية المترتبة عن استخدام تكنولوجيا المعلومات والاتصال والإعلام بشكل عام. لأنها تشكل معاً نهايات ثلاثية الأبعاد في المجتمع الإعلامي، بحيث تكون مقبولة، ومدعومة اجتماعياً، وتلبي حاجة أفراد المجتمع .وفي ظل المجتمع المعلوماتي يجب أن تكون تلك الثلاثية الأرضية التي ينطلق منها لتحقيق تطور هادف في وعي وحياة الإنسان، وتدعم مواقف جميع الشرائح الاجتماعية بكل اتجاهاتها مما يزيد من لحمتها، وإسهامها في تطوير المجتمع المعلوماتي بحد ذاته.

وتكنولوجيا الاتصال والإعلام تنتشر اليوم من الدول المتطورة وتنتقل منها إلى الدول الأقل حظاً والنامية، حاملة معها ثقافة جديدة، تختلف كثيراً عن تلك الثقافة التي ولدت في إطارها تلك التكنولوجيا.

وتحمل في طياتها ثقافة تعميم آليات ونظم الحاسب الآلي المعقدة والمتنوعة لتلك النظم صعبة الفهم. وفي أكثر الحالات نرى أنها تتهيب الخطر الناتج عن حتمية التأثير على حياة الأفراد والمجتمعات، وهو التأثير الذي يصعب فهمه وقبوله في بعض الحالات. ومن أجل تجنب الجمود في المجتمع المعلوماتي، كان لا بد من الوصول

إلى تصـور واضـح ودقيـق عـن التأثـيرات العارضـة لدخـول تكنولوجيـا الاتصـال والإعـلام المتطـورة إلى الحيـاة الاجتماعيـة اليوميـة، ومنهـا نتائـج الصدمـة التكنولوجيـة ومـا يرافقهـا مـن تخريـب في السـلوك والآداب والأخـلاق العامـة، وفقـدان لفـرص العمـل في بعـض التخصصـات التقليديـة، إضافـة لشـيوع جرائـم الحاسـب الآلي غيرهـا، مـن تلـك التـي تهـدد الأمـن الإعلامـي الوطنـي والـدولي.

حتمية الثورة الاتصالية والمعلوماتية في ظل العولمة:

ومـع ذلـك فـإن الثـورة الاتصاليـة والمعلوماتيـة التـي تعمـل عـلى تغيـير معـالم العـالم بسرعـة هائلـة، وحتميـة هـذه التغيـيرات تجعلهـا في وضـع لا مفـر منـه وشـاملة، وتـزداد سرعتهـا بشـكل دائـم ومضطـرد. وتختلـف نتائجهـا الاقتصاديـة، لأنهـا تجلـب معهـا فوائـد ليسـت أقـل أهميـة وفاعليـة ومؤثـرة عـلى القيـم الإنسـانية مـن فوائـد الثـورات الإنسـانية السـابقة في مختلـف دول العـالم ومـن بينهـا الـدول الأقـل نمـواً والناميـة أيضـاً.

ومـن ظواهـر التفـوق المعلومـاتي اليـوم في الـدول المتقدمـة أن النـاس أصبحـوا يتفاعلـون مـع الثـورة المعلوماتيـة والاتصاليـة والإعلاميـة بالمقارنـة مـع غيرهـا مـن الثـورات الإنسـانية السـابقة، في دول العـالم بأشـكال طالـت المجتمـع الإنسـاني بـأسره. حتـى أصبـح مصطلـح «المعلوماتيـة "يملـك وقعـاً سـحرياً بالفعـل، بعـد أن أصبحـت تكنولوجيـا المعلومـات والاتصـال والإعـلام الحديثـة اليـوم القـوة المحركـة الحقيقيـة والمتحكمـة بالاقتصـاد العالمـي والتقـدم التكنولوجـي في العـالم بـأسره، وأصبحـت مصـدراً هامـاً لمضاعفـة المعـارف والقيـم الروحيـة الجديـدة لـدى الإنسـان، خاصـة بعـد توسـع وانتشـار مجـالات اسـتخدام المنجـزات العلميـة والتكنولوجيـة للقـرن العشريـن.

وللحكـم عـلى مـدى تشـكل المجتمـع المعلومـاتي في أيـة دولـة مـن دول العـالم لابـد مـن إلقـاء نظـرة فاحصـة تشـمل واقـع وآفـاق تطـور وسـائل الإعـلام والاتصـال الجماهيريـة التقليديـة في تلـك الـدول، عـلى ضـوء اسـتيعابها لتكنولوجيـا المعلومـات ووسـائل الإعـلام والاتصـال المتطـورة، وعـلى آفـاق تطـور البنيـة التحتيـة لتلـك الوسـائل في العـالم. والنظـر

كذلـك إلى مسـتوى التعليـم العـام والمتخصـص والقاعـدة القانونيـة التـي تسـتند عليهـا عمليـة التطـور المعلومـاتي في تلـك الـدول بشـكل عـام.

ومـدى إمكانيـة الوصـول إلى مصـادر المعلومـات المتاحـة، المحليـة والإقليميـة والدوليـة مـن خـلال شـبكات الاتصـال الإلكترونيـة وخاصـة شـبكة الانترنيـت العالميـة. ومـدى تأثـير المـوارد المعلوماتيـة المفتوحـة تلـك عـلى علاقـات الإنتـاج، والنشـاطات الإنسـانية والعلميـة والتجاريـة والاقتصاديـة، والأهـم مـن كل ذلـك مـدى تلبيـة تلـك الوسـائل للحاجـات الأساسـية للمواطـن وللمجتمـع بـكل شرائحـه.

لأن الإنسـان في المجتمـع المعلومـاتي يقـف وجهـاً لوجـه أمـام فضـاء إعلامـي واحـد متنـوع ومفتـوح، تعتـبر فيـه وسـائل الإعـلام والاتصـال الجماهيريـة التقليديـة مـن أهـم وسـائل التفاعـل بـين المواطـن والسـلطة بفروعهـا الثـلاث التشريعيـة والتنفيذيـة والقضائيـة. لأنهـا تسـاعد عـلى شـفافية عمـل تلـك السـلطات، وعلنيـة التفاعـلات السياسـية في المجتمـع. أمـا تقنيـات الاتصـال الحديثـة في ظـل «العولمـة" والمجتمـع المعلومـاتي فقـد أضافـت عنـصر الحـوار الـدولي الـذي انبثـق عنـه «مجتمـع الأربـع والعشريـن سـاعة(twenty-for-hour-society) "، ذلـك المجتمـع الـذي يعمـل عـلى مـدار السـاعة دون توقـف، مضيفـاً إمكانيـات هائلـة جديـدة، منهـا عـلى سـبيل المثـال: تكامـل الـدورة الاقتصاديـة التـي أصبحـت تعمـل دون توقـف أيضـاً، بحيـث تبـدأ في آن معـاً مـن أيـة نقطـة في العـالم وتعـود مـن جديـد ودون توقـف مـن حيث أتـت، مـما فـرض عـلى العاملـين في المجـالات الاقتصاديـة والماليـة، ضرورة إعـادة النظـر في جـداول أعمالهـم بمـا يتـلاءم مـع هـذه الـدورة الاقتصاديـة المعلوماتيـة.

ومجتمـع الأربـع والعشريـن سـاعة هـذا أصبـح يمـس اليـوم كل نواحـي الحيـاة الاجتماعيـة دون اسـتثناء، ومنهـا وسـائل الإعـلام والاتصـال الجماهيريـة التقليديـة التـي أصبحـت تملـك قنـوات جديـدة للحصـول عـلى المعلومـات ونشرهـا تفـوق القـدرات التقليديـة المعروفـة لقنـوات الاتصـال.

***

التبعية الإعلامية

لقد اعتقد البعض أن موجة الاستقلال التي اجتاحت معظم الدول آسيا وأفريقيا بعد الحرب العالمية الثانية سوف تؤدى بالضرورة إلى تحقيق استقلالها الاقتصادي والثقافي والإعلامي.

ولكن حتى منتصف السبعينات لم يبد أن أية دولة من دول العالم الثالث قد استطاعت أن تحقق سيادتها الإعلامية كاملة. ورغم أن مظاهر التبعية الاقتصادية في العالم الثالث قد أصبحت واضحة للجميع فإن التبعية الثقافية والإعلامية لم يتم الكشف عنها إلا بشكل محدود وفى سياق الأختام بدراسة الجوانب الاقتصادية والاجتماعية.

والآن قد مرت ثلاثة عقود حفلت بالممارسات والمحاولات العديدة من أجل الخروج من دائرة التبعية ولم يقدر النجاح إلا لحالات قليلة بينما لا تزال الغالبية العظمى من شعوب العالم الثالث تسعى للخلاص الشامل.

ولذلك فإن الأمر يقتضى منا ضرورة إعادة النظر في المفاهيم والنظريات والسياسات التي سادت في مجتمعات العالم الثالث في الفترة الماضية سواء في مجال التنمية أو الاتصال.

ولابد أن يقودنا هذا إلى مناقشة التراث الغربي في التنمية وخصوصا الكتابات الأمريكية عن الأعلام والتنمية وذلك بسبب تأثيرها الحاسم على صناع القرار السياسي والثقافي والإعلامي في معظم دول العالم الثالث.

وقد حاول العلماء الأمريكيون أمثال دانيال ليرنر وايثيل دى سولا بول ولوسيان باي وفردريك فراى الإسهام في حل التناقض الذي تعانى منه شعوب العالم الثالث.

وهو يتخلص في كيفية الجمع بين التكنولوجيا الغربية المتقدمة والاحتفاظ بوحدة الثقافات القومية في العالم الثالث . وتعتبر نظرية ليرنر في الأعلام والتنمية أكثر

النظريـات شـيوعا وانتشـار في الـدول الناميـة وهـى تـدور حـول إبـراز الـدور الخطـير الـذي يمكـن أن تقـوم بـه وسـائل الإعـلام في نقـل الـدول الناميـة مـن النمـط التقليـدي إلى التحديـث.

والحقيقــة أن مــا يطلــق عليــه هــؤلاء أســم (تحديــث) هــو في الأســاس عبــارة عــن تقديــم المجتمعـات الغربيـة الصناعيـة المتقدمـة لشـيكاتها الماليـة ونشـاطاتها الاقتصاديـة وأنماطهـا الاسـتهلاكية وبناءاتهـا التكنولوجيـة إلى الـدول الناميـة كنمـوذج وحيـد يجـب الاحتـذاء بـه.

وتركـز الحمـلات الإعلاميـة والإعلانيـة الخاصـة بترويـج مفهـوم التحديـث عـلى أهميـة التكنولوجيـة الحديثـة وملحقاتهـا. ويشـبع التفكـير الـذي يـرى أن التكنولوجيـة وسـيلة طبيعيـة يمكـن اسـتخدامها في كل المجتمعـات وفى ظـل كل الأنظمـة ولخدمـة أهـداف مختلفـة.

ويكمـل هـذه الفكـرة عـلى المسـتوى الإعلامـي فكـرة التدفـق الحـر للأنبـاء والمعلومـات التـي تـروج لنفـس المضمـون وهـو حـق كل امـرئ في أن يشـارك في هـذا التدفـق.

ولكــن مــن الناحيــة الواقعيــة فــإن التدفــق يمــارس في اتجــاة راسي أحــادى الجانــب ويتجــه مــن الشــمال إلى الجنــوب لصالــح الــدول الصناعيــة المتقدمــة.

كذلـك تـبرز مشـكلة الـدول الناميـة في عـدم اختيـار التكنولوجيـا الملائمـة لاحتياجاتهـا ومواردهـا وخلفيتهـا الحضاريـة.

وهــذا يدفعنــا إلى اكتشــاف حقيقــة أخــرى هامــة وهــى إن المســئولية تقــع بالدرجــة الأولى عــلى المؤسسـات العلميـة آلتـي تسـهم في صنـع القـرار الخـاص باسـتيراد التكنولوجيـا.

وهـذا يـؤدى بالتـالي إلى تبعيـة أغلبيـة العلـماء والأبحـاث العلميـة في العـالم الثالـث لمراكـز البحـوث الأجنبيـة فكريـا عـلى الأقل.

والواقـع أنـه لا يكفـى أن نذكـر مجموعـة مـن المـؤشرات الكميـة و النوعيـة للتدليـل عـلى وجـود التبعيـة وتغلغلهـا في شـتى دروب الحيـاة الاجتماعيـة والثقافيـة في مجتمعـات العـالم الثالـث.

فمـن الواضـح أن ملكيـة الأجانـب للصحـف في الـدول الناميـة وتدفـق الإعلانـات التـي تسـيطر عليها الـشركات الأجنبيـة والاعتـماد عـلى التكنولوجبـا المسـتوردة. وتدريـب الإعلاميـين وخصوصـا الصحفيـين. كل ذلـك يتـم في سـياق الثقافـة الأجنبيـة.

بحيـث يبـدو الأمـر وكأنهـم يتوجهـون بأعمالهـم وكتاباتهـم إلى جمهـور أجنبـي وحتـى المـواد ذات المضامـين الوطنيـة تقـدم في إطـار وسـياق أجنبـي ولذلـك يصبـح مـن الـضروري بـذل مزيـد مـن الجهـد مـن اجـل فهـم مصـادر وطبيعيـة ومضمـون الاتصـال لـدى كل مـن الشـعوب المتقدمـة والناميـة ودراسـة مسـارات وأشـكال تدفـق هـذا الاتصـال داخـل الـدول وبـين بعضهـا والبعـض الآخـر. وأنمـاط التدفـق الـرأسي والأفقـي.

فالمعـروف أن الاتصـال يحـدد الحقيقـة الاجتماعيـة التـي تـترك طابعهـا عـلى نظـام العمـل ونـوع التكنولوجيـا ومفـردات النظـام التعليمـي الرسـمي وغـير الرسـمي وكيفيـة اسـتخدام وقـت الفـراغ.

كذلـك لابـد مـن تقـصى ودراسـة جـذور التبعيـة الثقافيـة والإعلاميـة واسـتجلاء أبعادهـا ومظاهرهـا والكشـف عـن ألوانهـا وأدواتهـا وتتبـع أثارهـا عـلى المسـتويين المحـلى والعالمـي.

ولـن يتحقـق ذلـك إلا مـن خـلال الدراسـة والمتابعـة النقديـة للكتابـات والاجتهـادات آلتـي قدمتهـا مدرسـة التبعيـة في العـالم الثالـث مـع الحـرص دومـا عـلى إجـراء دراسـات ميدانيـة لاسـتكمال الإطـار النظـري الخـاص بمفاهيـم التبعيـة الإعلاميـة والثقافيـة في العـالم الثالـث.

وقـد حاولـت مـن خـلال متابعتـي عـبر السـنوات عديـدة للقضايـا الإعلاميـة و الثقافيـة في العـالم الثالـث ومـن خـلال معايشـتي المبـاشرة وغـير مبـاشرة للعديـد مـن التجـارب الثوريـة في الإعـلام لـدى حـركات التحـرر الوطنـي العربيـة والأفريقيـة.

فضلا عن صلات التعاون الأكاديمي المباشرة مع أساتذة ومنظري مدرسة التبعية الثقافية والإعلامية أمثال هبرا شيللر وكارل نورد نسترنج وارمان مارثل أرت وجيمس هالوران وراكيل وساليناس ووالاس سميث وفيل هاريس وقران فان دنا وغيرهم.

هؤلاء الذين يحاولون أن يقدموا رؤية بديلة للنظريات آلتي أدت إلى تكريس التبعية الإعلامية والثقافية في العالم الثالث: أقول حاولت من خلال كل هذا أصوغ رؤيتي وملاحظاتي في قالب معرفي يتسم بالشمول والوضوح.

وهناك ثلاثة محاور رئيسية هي كالتالي:

١- محور التبعية الثقافية والإعلامية من جانب العالم الثالث للعام الرأسمالي الصناعي المتقدم.

وهناك التبعية الداخلية أي التبعية للسلطة السياسية والقوى الاجتماعية المسيطرة على مصادر الثروة والنفوذ على أساس أن ذلك سيرد في دراسة أخرى ميدانية سنتناول التبعية الإعلامية في العالم العربي

٢- محور الاستقلال الإعلامي الذي برزت ملامحه على المستوى الدولي فيما عرف بمشروع النظام الإعلامي العالي الجديد.

كما تجسد على المستوى القومي في محاولات دول العالم الثالث لإنشاء التكتلات الإعلامية الإقليمية والقومية وأبرزها مجمع وكالات أنباء عدم الانحياز

هذا وهناك التجارب الإعلامية التي قدمتها حركات التحرر الوطني في العالم الثالث وآلتي عرفت باسم صحافة الكفاح المسلح.

ومن أشهر رموزها صحافة الثورة الجزائرية والتجارب الإعلامية لكل من أنجولا وموزمبيق وزيمبابوي وناميبيا وجنوب أفريقيا وفلسطين ونيكارجوا وفيتنام. وذلك أملا في أن تتضمنها دراسة قادمة عن صحافة الكفاح المسلح في العالم الثالث.

٣- محور الصحافة فقط مع عدم تجاهل وسائل الأعلام الأخرى سواء المسموعة أو المرئية. وتشمل الإذاعة والتليفزيون والسينما.

وذلك نظرا لأن الزملاء المتخصصين في هذه المجلات قادرون على تغطيتها ورصد مظاهر التبعية الإعلامية والثقافية بها بصورة أفضل بكثير .

***

حضارة السوق والأمن الثقافى

سيناريوهات التهميش الاجتماعى

فى عـصر الانهيـارات الكـبرى وفى ظـل آليـات الهيمنة العالميـة تحولـت الثقافة الاسـتهلاكيةConsumer Culture – إحـدى مجـالات تدويـل النظـام الرأسـمالى – إلى آليـة فاعلـة لتشـويه البنـى التقليديـة وتغريـب الإنسـان وعزلـه عـن قضايـاه، وإدخـال الضعـف لديـه والتشـكيك فى جميـع قناعاتـه الوطنيـة والقوميـة والأيديولوجيـة والدينيـة. وذلـك بهـدف إخضاعـه نهائيـاً للقـوى والنخـب المسـيطرة عـلى القريـة الكونيـة، وإضعـاف روح النقـد والمقاومـة عنـده حتـى يستسـلم نهائيـاً إلى واقـع الإحبـاط فيقبـل بالخضـوع لهـذه القـوى أو التصالـح معهـا.

وهكـذا تعـد العولمـة إحـدى التحديـات التـى تقـف أمـام بنـاء المجتمعـات التقليديـة لأنهـا تحطـم قـدرات الإنسـان فيهـا، تجعلـه إنسـاناً مسـتهلكاً غـير منتـج، ينتظـر مـا يجـود بـه الغـرب ومراكـز العـالم مـن سـلع جاهـزة الصنـع، بـل تجعلـه يتباهـى بمـا لا ينتجـه، فهـو القـادر عـلى اسـتهلاك مـا لا يصنعـه، مـما تشـكل لديـه قيـم الإتكاليـة والتـواكل، والتطلـع إلى اقتنـاء السـلع الاسـتهلاكية التـى تتغـير يومـاً لا فى سـبيل التطويـر – فقـط- بـل فى سـبيل زيـادة حـدة الاسـتهلاك عـلى المسـتوى العالمـى.

ولا جـدال فى أن النظـام الرأسـمالى المزمـع تشـكيله لا يختلـف – كثـيراً – مـن حيـث أهـداف تحقيـق الهيمنـة الخارجيـة، نظـراً لأنهـا السـبيل الوحيـد للمحافظـة عـلى قـدرة النظـام الرأسـمالى فى تطويـر ذاتـه، وتوزيـع منتجاتـه، وتأمـين اسـتقرار أوضاعـه، ووصولـه إلى مراحـل الرفاهيـة داخـل نطـاق حـدوده. إلا أن الأوضـاع لا تسـتمر دائمـاً عـلى هـذا النحـو بسـبب أن طبيعـة الـدورة الاقتصاديـة فى النظـم الليبراليـة الحـرة – كـما أشـارت المدرسـة الكينزيـة – تقـوم عـلى مبـدأ الأزمـات، حيـث تمـر هـذه المجتمعـات بأزمات متلاحقـة، تكـون هـى القـوة الدافعـة للتطويـر والإنتـاج وتحسـين الأداء وتنميـة القـدرات لحـل هـذه الأزمـات التـى تنتـاب دورة الإنتـاج وتعمـل عـلى تكاملهـا.

ولتجنـب هـذه الأزمـات تطـورت آليـات الهيمنـة الخارجيـة نحـو تغيـير أسـاليب الاسـتغلال وإن كان الهـدف – كـما سـبق القـول – واحـد، والعولمـة هـى إحـدى آليـات الهيمنـة المعـاصرة.

ففـى مرحلـة التقـارب بـين القطبـين الرأسـمالى والشـيوعي قبـل انهيـار الأخـير، كان الاهتـمام منصبـاً عـلى تدعيـم الوجـود والاسـتمرار المطـرد لتفـوق النظـام الرأسـمالى فى مواجهـة النظـم الشـمولية، وبعـد نجـاح النظـام الليـبرالى الحـر، وانفـراده بالنفـوذ العالمـى، اتجـه إلى تغيـير أسـلوب الهيمنـة الخارجيـة، فأصبحـت رأسـمالية العلـم والتقنيـة فى حاجـة إلى توحيـد النخـب المدعمـة لهـذا النظـام، وظهـرت فى رأسـمالية متعـددة القوميـات.Multinational

ولقـد أسـهمت التطبيقـات التـى تمـت إلى الآن فى مجـال تقنيـة المعلومـات والاتصـال والتقنيـة الحيويـة فى تجديـد القـوى المنتجـة وإتاحـة فـرص هائلـة لإعـادة هيكلـة الإنتـاج الرأسـمالى كـماً وكيفـاً، فبتغيـير الهيـكل الصناعـى تقدمـت إلى الصـدارة صناعـة المعلومـات والمعرفـة والثقافـة، وبتغيـير أدوات الإنتـاج وفنونـه، تغـير هيـكل قـوة العمـل وبنيـة الطبقـة العاملـة، تركيبـاً ونوعـاً، واتسـع نطـاق الفئـات والشرائـح الوسـطى، وهـى أمـور ذات أهميـة فى تحقيـق الاسـتقرار الداخـلى للنظـام الرأسـمالى.

ويعـد «تعميـم ثقافـة الاسـتهلاك» هـو واحـد مـن آليـات الهيمنـة المفروضـة عـلى الشـعوب والأمـم التقليديـة، وهـى مجـال مكمـل «ومتمفصـل» مـع أنمـاط أخـرى مـن التدويـل فى الإنتـاج والمـال والتقنيـة ... وتشـكلت مؤسسـات لهـذا الغـرض حتـى تضمـن الفئـات الرأسـمالية، مديـرة الشـئون العالميـة، تصريف منتجاتهـا، وتوزيعهـا عالميـاً وعـلى أوسـع نطـاق. ولعبـت الـشركات متعـددة الجنسـية دوراً مؤثـراً فى ذلـك واهتمـت بإنتـاج رمـوز وبنـود ثقافـة الاسـتهلاك لتتكامـل مـع السـلع الماديـة المنتجـة. ولا يختلـف ذلـك عـن اسـتخدام هـذه المؤسسـات للعلـوم الاجتماعيـة والسـلوكية، وتوظيفهـا فى خدمـة هـذا الغـرض.

ويمكـن إيجـاز هـذه الأهـداف التـى تسـعى إليهـا الفئـات الرأسـمالية الموحـدة وتأثيرهـا عـلى تغـير البنـى التقليديـة فى المجتمعـات المحيطيـة فى التاليـة:

١- التحكـم فى مسـار تطويـر البنـى التقليديـة بالقـدر الـذى يسـمح فقـط بتصريـف منتجـات هـذه الـدول (المركـز الرأسـمالى المعـولم) وبالقـدر الـذى يسـهم فى تطويـر قـوى الإنتـاج بالداخـل. ولقـد لعبـت آليـة تعميـم ثقافـة الاسـتهلاك دوراً مؤثـراً فى ذلـك حيـث يمكـن رصـد مظاهـر التلطعـات الاسـتهلاكية لـدى الفئـات والشرائـح المختلفـة فى هـذه الـدول.

والعـالم العـربى خـير مثـال عـلى ذلـك حيـث نجـد التطلـع الشـديد للبحـث عـن الجديـد فى الأسـواق بغـض النظـر عـن حاجـة المجتمـع إلى هـذا الجديـد مـن السـلع. ولم يقتـصر الأمـر عـلى الفئـات العليـا فى هـذه المجتمعـات، وهـو مـا كان هدفـاً فى حـد ذاتـه فى النظـام الاسـتعمارى القديـم حيـث كانت الاسـتراتيجية تقـوم عـلى خلـق شرائـح قـادرة عـلى الاسـتهلاك. لقـد أصبـح الاسـتهلاك -وهـذا هـو الجديـد- معممـاً عـلى الفئـات العمريـة والفئويـة المختلفـة، فانتشـار لعـب الأطفـال مثـلاً التـى انتقلـت مـن المرحلـة التقليديـة المعروفـة إلى المرحلـة الحديثـة التـى تدفعهـم بصـورة مبهـرة نحوهـا، هـو خـير دليـل عـلى ذلـك.

١. العمـل عـلى تغريـب الثقافـات الوطنيـة مـن خـلال آليـات أصبحـت أكـثر قـوة مثـل وسـائل الإعـلام والتقنيـة الحديثـة واحتكارهـا عـلى مسـتوى المعرفـة وعـلى مسـتوى التشـغيل. وكان لصناعـة الثقافـة دوراً هامـاً فى هـذا الإطـار، حيـث تـم توجيـه نمـط الثقافـة مـن منطلـق مـا بعـد الحداثـة، نحـو إعـادة إنتـاج وتقويـة منطـق الاسـتهلاك لـدى الشـعوب(٦). ومـن يسـتعرض - مثـلاً - الأسـواق الخليجيـة والعربيـة بوجـه عـام سـوف يشـهد بـأن التوكيـلات التجاريـة الأجنبيـة المسـيطرة عـلى هـذه الأسـواق تسـتأثر بالنصيـب الأعظـم مـن جملـة العمليـات التجاريـة القائمـة.

٢. توظيـف العلـم للاخـتراق الثقـافى والهيمنـة عـلى الثقافـات التقليديـة بهـدف طمـس هويـة الشـعوب، وقـد تعـددت آليـات هـذه الهيمنـة كـماً وكيفـاً بـين ثقافـة قوميـة

وأخـرى. ولا شـك أن المتابـع للبرامـج التـى تبثهـا الإذاعـات المختلفـة حتـى العربيـة منهـا يلحـظ بوضـوح إظهـار تفـوق الحضـارة الغربيـة، وتغلغـل قيـم الرأسـمالية فى المؤسسـات الوطنيـة ذات الصلـة بالثقافـة. فمناهـج المـدارس والجامعـات ومراكـز البحـوث كلهـا تشـير إلى ذلـك. بالإضافـة إلى مـا تقدمـه المؤسسـات مـن منـح ومـواد إعلاميـة وبحـوث تجـرى عـن طريـق المؤسسـات الرأسـمالية، كلهـا تصـب فى إطـار ترسـيخ تفـوق الغـربى إلى ماعـداه مـن الجنسـيات الأخـرى.

٣. دعـم السياسـات الاقتصاديـة والاجتماعيـة التـى تقدمهـا المؤسسـات الدوليـة) البنك الـدولى، صندوق النقـد الـدولى، وغيرهـما مـن المؤسسـات) للـدول الأقـل تطـوراً طالمـا أنهـا تحقـق مصالـح القـوى الرأسـمالية الجديـدة، وكـم مـن قـررات محليـة تتعـثر بسـبب توحـد مصالـح المراكـز الرأسـمالية والوقـوف ضـد هـذه القـرارات! لأنهـا تحقـق مـا تربـو إليـه مـن خدمـة النظـام الرأسـمالى المعـولم.

٤. نقـل الصناعـات التقليديـة مـن المراكـز الرأسـمالية إلى بعـض الأجـزاء الأخـرى مـن العـالم، إمـا لاسـتغلال الأيـدى العاملـة الرخيصـة فى الـدول المتلقيـة لهـذه الصناعـات، أو تفـادى تلـوث البيئـة فى المراكـز. ومـع أن هـذه العمليـة (نقـل الصناعـات) تدخـل فى عمليـة تدويـل الاقتصـاد، إلا أن أبعـاده الثقافيـة أهـم بكثـير مـن أبعادهـا الاقتصاديـة. فهـى ترسـخ ثقافـة «تخليـص المجتمعـات التقليديـة مـن دائـرة التخلـف» برغـم أن الواقـع الفعـلى يثبـت عكـس ذلـك، حيـث تعمـل الرأسـمالية عـلى اسـتخلاص فائـض إنتـاج الـدول المتخلفـة ويضـاف لحسـاب الفئـات الرأسـمالية العالميـة ويحـل مـن أزمـة الداخـل فى المراكـز وليـس فى المحيطـات.

وإذا كان البعـض ينقـل ويردد مقولات سـائدة فى «سوسـيولوجيا التحديث» حـول إيجابيات الاحتكاك؛ والانتشـار الثقـافى الناتـج عـن نقـل ثقافة المجتمع الحديـث إلى المجتمـع التقليدى، مع نقـل التكنولوجيا إلى داخـل البنـى التقليديـة مـن شـأنه أن ينقـل المجتمـع الأخـير إلى مرحلـة الحداثة، ومـن ثم يسـتطيع تخطى الفـارق الزمنـى الـذى يفصل بين المرحلـة التى يعيش فيها المجتمـع التقليدى، وبين المرحلـة التى وصل إليها

المجتمع الحديث) الرأسمالى). فإننا نقول : يخطئ من يتصور أن التبادل الثقافى أمر وارد بين ثقافتين غير متكافئتين، بل يخطئ أكثر من يرى أن الاحتكاك الثقافى والانتشار يساعد الدول الفقيرة فى تخطى مرحلة التخلف، ففى كل حالات التبادل الثقافى غير المتكافئ (الاختراق أو الغزو) فإن الثقافات الأدنى) التقليدية) تفقد تدريجياً مقومات استمراريتها وبذلك تتفكك وتنهار.

سيناريوهات العولمة وثقافة التهميش :

بات لا مناص من تحليل آليات الهيمنة الموجهة من تلك التكتلات الاقتصادية فى زمن العولمة. وواقع الأمر أن العولمة - كما أشرنا من قبل - تمثل مراحل متتالية من السيطرة على كافة أجزاء العالم، مستغلة أساليب متعددة للوصول إلى الهدف الحقيقى فى نشر ثقافة كونية جديدة ومتجددة تلغى الحواجز والحدود بين الدول لمصلحة الليبرالية الجديدة فى النظام الرأسمالى العالمى لصالح تلك التكتلات.

وربما يكون الاختلاف الوحيد فى هذا المجال هو التحول من سيطرة دول على دول أخرى، لسيطرة تكتلات لصالح دول على شعوب العالم بإقحامها فى نظام مستحدث يعلن المساواة والتوحد ولكنه ينطوى على التميز والعنصرية وتفكيك الشعوب، مستعيناً فى ذلك بكل أدوات التقنية الحديثة ووسائل الاتصالات المعاصرة، والسيطرة عن بعد، واضعاً مجموعة من السيناريوهات التى من الممكن إلقاء الضوء عليها فى مراحلها المتتالية:

السيناريو الأول :

بعد انتهاء الحرب الباردة والتحول نحو النظام الليبرالى واختفاء العدو الشرقى أصبح من المفيد إلقاء اللوم على الحضارة العربية الإسلامية باعتبارها مصدر الإزعاج، ومن ثم ظهرت الأفكار وكثرت الكتابات عن صدام الحضارات، ونهاية التاريخ، والكتابات التى تشير إلى ضرورة التصدى للثقافة الإسلامية باعتبارها تمثل العنف والإرهاب والتعامل بحد السيف. وهكذا تشكل السيناريو الأول فى محاولة التشكيك فى سماحة الدين الإسلامى وتخلفه عن ركب الحضارة الغربية) النموذج المثالى للبشرية). وواقع الأمر

أن هـذا ليـس بجديـد عـلى الفكـر الليـبرالى، ومـن يسـتعرض فكـر القـرن العشريـن وبخاصـة أفـكار ماكـس فيـبر Max Weber، يلحـظ بوضـوح مـدى الجهـود التـى بذلهـا مـن أجـل الحفـاظ عـلى الرأسـمالية ضـد النظـم الأخرى، بـل أنـه دعـا ألمانيـا إلى ضرورة التوسـع الرأسـمالى عـن طريـق الغـزو الاسـتعمارى لتطبيـق الليبراليـة الرأسـمالية.

السيناريو الثانى :

نجـد تشـويه الثقافـة العربيـة حيـث ظهـرت الدعـوى إلى تجسـيد تخلـف الأمـم العربيـة، وإبـراز ملامـح الانقسـام والتـشرذم والجمـود الحضـارى. وهنـا لعـب الإعـلام الغـربى دوراً بـارزاً فى تشـويه صـورة العـرب سـواء عـلى مسـتوى الحـوارات الثقافيـة، أو الدرامـا، أو البرامـج الإعلاميـة، بـل اسـتغلال الإعـلان فى تشـويه صـورة الإنسـان العـربى وعقليتـه المتجمـدة.

السيناريو الثالث :

فى محاولـة التشـكيك فى قـدرة الأمـة العربيـة عـلى التقـدم ومواكبـة التطـور الحضـارى الغـربى. ولاشـك أن اتجاهـات التحديـث ونظريـة الانتشـار الثقـافى تلعـب هـذا الـدور بحنكـة وفعاليـة، فهـى تـبرز ثقافـة التخلـف وثقافـة الفقـر وملامـح الشـخصية العربيـة المتأصـل فيهـا عـدم القـدرة عـلى الإبـداع والابتـكار. إنهـا نظريـات تعالـج التخلـف والنمـو مـن منظـور التقسـيم الكلاسـيكى بـين مجتمعـات تملـك إمكانـات التقـدم وأخـرى تفتقـر إلى هـذه الإمكانـات، عـلى الرغـم مـن أن تقـدم الأولى قـد تـم عـلى حسـاب تقـدم الثانيـة كـما تشـير نظريـات التبعيـة الكلاسـيكية والمحدثـة.

السيناريو الرابع:

وهـو يبغـى التشـكيك فى مسـتقبل الأمـة العربيـة والعـالم الثالـث، حيـث يـبرر ضرورة الربـط بـين تحديـث تلـك المجتمعـات وبـين آليـات الاحتـكاك الثقـافى مـن ناحيـة، والنقـل التكنولوجـى مـن ناحيـة أخـرى، ومـن ثـم فالسـبيل إلى تقـدم تلـك الأمـم مرهـون دائمـاً بمـا يجـود بـه الغـرب الرأسـمالى مـن تكنولوجيـا ونـشر ثقافـة التقـدم، ودون ذلـك سـتظل تلـك الأمـم عـلى مـا هـى عليـه مـن تخلـف وتأخـر!

ويـأتى السـيناريو الخامـس بالدعـوة إلى ضرورة خلـق مواطـن كـونى تـذوب شـخصية أمتـه فى الثقافـة الوليـدة المسـتحدثة، مـن خـلال خلـق حضـارة السـوق والتنافـس الحـر وإلغـاء كافـة الحواجـز بـين الشـعوب والأمـم.

إن تقـدم تلـك المجتمعـات مرهـون إذن بمـدى تقبـل تلـك الأمـم للثقافـة الليبراليـة الجديـدة والنظام العالمـى الجديـد، الـذى تـذوب فيـه شـخصية الأمـم وخصوصيتهـا الثقافيـة وخلـق ثقافـة موحـدة عـلى مسـتوى العـالم ككل.

والطريـق الأمثـل يتمثـل فى السـيناريو السـادس الـذى يهتـم بإحـلال عنـاصر ثقافيـة جديـدة، وغـرس ثقافـة مسـتحدثة مـن خـلال تكنولوجيـا الإعـلام وخلـق مجتمـع اسـتهلاكى بتقنيـة إعلاميـة فائـق السرعـة والتطور.

إن أفـكار «هانجتـون»، و»فريـد مـان»، ومقـولات نهايـة التاريـخ وصـدام الحضـارات وصراعاتهـا هـى أيديولوجيـا جديـدة فى سلسـلة الهيمنـة عـلى مـر التاريـخ. فأيـن السـبيل لوقـف، أو عـلى الأقـل، التخفيـف مـن تحديـات العولمـة وخاصـة الثقافيـة منهـا؟

وهــذا يســتدعى عــرض لــدور الاتصــال الجماهــيرى والتدفــق الإعلامــى والمعلومــاتى وأثــره عــلى المجتمعــات البشريــة.

***

رؤية مستقبلية
للصحافة العربية والدولية

مـن الواضـح أن تجـارب إطـلاق وسـائل الإعـلام الجماهيريـة الإلكترونيـة الجديـدة هـي اسـتثمار في المجهـول، لأن مؤسسـات الإعـلام الجماهـيري عـلى مـا يبـدوا تـصرف مـن مواردهـا الذاتيـة ومـن عوائـد مبيعاتهـا عـلى مواقعهـا الإلكترونيـة، مـما يسـاعد عـلى أن تفـرض علاقـات السـوق نفسـها عـلى وسـائل الإعـلام الجماهـيري التجاريـة المطبوعـة وتوجههـا نحـو التوقـف عـن بـث إصداراتهـا الإلكترونيـة عـبر مواقعهـا الإلكترونيـة في الإنترنـت. أو الحـد منهـا أو تأخيرهـا لتتمكـن مـن تسـويق طبعاتهـا، والبحـث عـن طـرق للحفـاظ عـلى مشـتركيها، في الوقـت الـذي أصبحـت فيـه الصفحـات الإلكترونيـة لوسـائل الإعـلام الجماهـيري غـير التجاريـة تزدهـر كونهـا تحقـق خفضـاً في نفقـات النـشر والتوزيـع وتجعلهـا في متنـاول الراغبـين في أي مـكان، وفي أي وقـت يرغبونـه، وهـو مـا يحقـق سـعة الانتشـار والوصـول للأهـداف المرسـومة.

وقـد حـذر روبـرت مـردوخ، رئيـس مجموعـة «نيوزكـورب» الإعلاميـة، مـن التغـيرات التـي يشـهدها قطـاع الصحـف، ومـن تحـول القـراء إلى تفضيـل اسـتخدام الانترنـت.

وأضـاف أمـام حشـد في لنـدن مـن أن «جيـلا جديـدا مـن مسـتخدمي الإعـلام، مّمـا ويحصـل عـلى المحتـوى المعلومـاتي سـاعة يشـاء، وكيفـما يشـاء، وحتـى كـما يشـاء .وأضـاف أن «القـوة باتـت تبتعـد عـن الطبقـة المتحكمـة القديمـة في قطـاع الإعـلام ..رؤسـاء التحريـر، المديريـن، وحتـى المسـتثمرين». وأضـاف مـردوخ، «انـه مـن التحديـات التـي يواجههـا قطـاع الإعـلام اليـوم، الاسـتفادة مـن ثـورة الانترنـت، ووصـف هـذه التقنيـة بأنهـا «عـلى الرغـم مـن أنهـا لا تـزال جنينـا، إلا أنهـا تدمـر وتعيـد بنـاء أي شيء في طريقهـا».

ولعـل أبـرز مـا قالـه مـردوخ، هـو تشـبيه لافـت للنظـر اعتـبر فيـه أن «الإعـلام سـيصبح مثـل الوجبـات السريعـة.. يسـتهلكها النـاس خـلال حركتهـم، حيـث يشـاهدون الأخبـار، والأحـداث الرياضيـة والأفـلام خـلال السـفر عـلى أجهزتهـم الجوالـة»، وأضـاف اعتقـاده

بـأن أمـام الصحـف التقليديـة سـنوات كثـيرة مـن الحيـاة، ولكـن مسـتقبل الطباعـة والحـبر سـيكون مصـيره واحـدا فقـط أمـام الكثـير مـن القنـوات الإعلاميـة، التـي يختـار منهـا المسـتخدم مـا يشـاء.

وعلـق رئيـس قسـم الصحافـة والنـشر في جامعـة «سـيتي» اللندنيـة، البروفيسـور أدريـان مونـك، عـلى الموضـوع بقولـه «لا بـد مـن أخـذ تصريحـات مـردوخ عـلى محمـل الجـد». وأضـاف أن «هـذا رجـل أمـضى حياتـه في هـذا المجـال، منـذ أيـام الآلـة الطابعـة»، وكان روبـرت مـردوخ قـد أطلـق تصريحـات مشـابهة العـام المـاضي، تسـببت في جـدل إعلامـي كبـير، عندمـا اعتـبر أن عمـر الصحـف سـينتهي عـام ٢٠٤٠، معترفـا أن الكثـير مـن الناشريـن «فشـلوا في تقديـر تأثـير الانترنـت عـلى مهنتهـم»، وتسـبب التكنولوجيـا الحديثـة، في ظهـور الكثـير مـن قنـوات إرسـال واسـتقبال المعلومـات الجديـدة والموازيـة للقنـوات التقليديـة، خصوصـا مـع انتشـار ظاهـرة «المواطنـين الصحافيـين»، وازديـاد عـدد المدونـات الالكترونيـة الشـخصية (بلـوغ)، التـي تشـكل تحديـا لهيمنـة سـلطة هيئـات التحريـر التقليديـة. ورأى البروفيسـور مونـك، أنـه لا بـد مـن الـتروي قبـل الحكـم عـلى مـدى نجـاح هـذه الظاهـرة، وقـال أنـه في النهايـة ليـس كل شـخص مهيّـأً لأن يكـون صحافيـا، موضحـاً أن «الصحافـة الجيـدة سـوف تبقـى مطلوبـة.

ولكـن المشـكلة القائمـة أمـام الباحثـين العـرب في المجـال الإعلامـي اليـوم تبقـى متمثلـة بكيفيـة تحويـل الكـم الهائـل مـن الصفحـات الإلكترونيـة إلى بنـك قومـي شـامل يختـزن المعلومـات والمعرفـة باللغـة العربيـة يمكـن الوصـول إليهـا في أي مـكان وأي وقـت دون الرجـوع إلى أكـداس الـورق في المكتبـات الوطنيـة للحصـول عـلى المعلومـات المطلوبـة للمعرفـة والتحصيـل العلمـي، وهـو مـا يحتـاج لتمويـل لا بـد أن تتحمـل جـزءاً هامـاً منـه المؤسسـات الثقافيـة العربيـة الحكوميـة، وبالإضافـة لمشـكلة إيجـاد جهـة حكوميـة تـشرف عـلى إشـهار والتحقـق مـن سـعة انتشـار ودراسـة محتـوى تلـك الوسـائل ودراسـة اسـتخداماتها الفعليـة وليسـت المفترضـة كمـورد مـن مـوارد بنـك المعلومـات القومـي العـربي.

وكلنا يعلم أهمية المعرفة في بناء الأمم والشعوب، ولا يخفى على أحد أهمية العلم والتعلم لنا كأمة تريد أن يكون لها مكان واضح في التاريخ الإنساني المعاصر، فنحن أمة اهتمت بالقراءة وقرض الشعر منذ أقدم العصور، ومع ذلك ظلت اهتماماتنا كعرب متواضعة إذا ما قارناها باهتمامات الأمم الأخرى وهو ما أشار إليه تقرير التنمية البشرية لعام ٢٠٠٣ الصادر عن برنامج الأمم المتحدة للإنماء ويعطينا بعض المؤشرات الرقمية الخطرة• رغم تركيزه على الحريات، وحقوق المرأة، وحق الحصول على المعرفة في تدخل شبه صريح في الشؤون الداخلية لدول ذات سيادة دون تناول غيرها من المشاكل المعاصرة التي تواجه التدفق الإعلامي الدولي.

ومن المؤشرات الإيجابية أن معظم وسائل الإعلام الجماهيرية العربية تقريباً تعتبر ملكاً للدولة أي لها مصادر تمويل ثابتة، وبالتالي تسهل عملية دخولها عالم وسائل الإعلام الجماهيري الإلكترونية، ولكن هذا الدخول قد لا يتناسب مع عصر العولمة والمعلوماتية المتغير والمفتوح في عصر أصبح يعرف بعصر الكلمة الحرة التي تعتمد على عقول البشر وتحاول التخلص من سلطان الرقابة لتحل محلها سلطات الإشراف ومتابعة مدى التقيد بالقوانين الوطنية للنشر والإعلام والتدخل عند الحاجة عن طريق السلطات القضائية صاحبة القول الفصل في مثل هذه الحالات.

وأورد التقرير المشار إليه أن عدد الصحف في البلدان العربية آخذ بالانخفاض ليصل إلى أقل من ٥٣ نسخة لكل ألف نسمة، بينما هي في الدول المتقدمة تبلغ نحو ٢٨٥صحيفة لكل ألف نسمة، إضافة لتميز بعض الصحف في الدول المتقدمة بحرية التعبير وهو أمر على ما نعتقد مشكوك فيه كثيراً !!؟ رغم التطور الكبير الذي تشهده وسائل الاتصال والإعلام الجماهيري في الوطن العربي خلال العقود الأخيرة.

ويشير التقرير المذكور إلى أن استخدام الحاسب الآلي لم يزل محدوداً في البلدان العربية ويشير إلى وجود ١٨ حاسوب لكل ألف نسمة، في الوقت الذي هو ٧٨ حاسوباً في الدول المتقدمة، وأن عدد مستخدمي خدمات شبكة الإنترنيت العالمية لا يتجاوز في البلدان العربية الـ ١,٦٪، الأمر الذي يعيق التوسع باستخدام موارد بنك المعلومات القومي الإلكتروني في أكثر البلدان العربية في الوقت الحاضر على الأقل.

نضيف إليها مشكلة اللغة في التواصل الحضاري لعصر العولمة فمؤشرات الترجمة في البلدان العربية تشير إلي أمرين مهمين أولهما حب اللغة القومية والتعلق برغبة الانفتاح على التجارب العالمية. ففي المجر مثلا بلغ عدد الكتب المترجمة ٥١٩ كتابا وفي إسبانيا ٩٢٠ كتابا لكل مليون نسمة، بينما كان عددها في البلدان العربية لا يتجاوز الـ ٤,٤ كتب. ومن قضايا تحويل ذلك الكم الهائل من الصفحات الإلكترونية إلى بنك قومي ووطني شامل للمعلومات والمعرفة قضية البحث العلمي التي تحتاج لتوفير النفقات المالية اللازمة. ويشير تقرير التنمية البشرية آنف الذكر إلى أن الدول العربية تخصص للإنفاق على البحث العلمي نسبة لا تتجاوز الـ ٢٪ من مجموع الدخل الوطني، إضافة لندرة الباحثين والمتخصصين اللذين لا يتجاوز عددهم في البلدان العربية عن ٣٧١ لكل مليون نسمة، مقابل ٩٧٩ لكل مليون نسمة في العالم المتقدم. وهو ما يفسر عدد براءات الاختراع المسجلة في العالم المتقدم مقارنة بالإنتاج الوطني العربي للمعرفة، فقد سجلت دولة الإمارات العربية المتحدة ٣٢ براءة اختراع، ومع حلول عام ألفين سجلت المملكة العربية السعودية ١٧١ براءة اختراع، بينما سجلت كوريا ١٦٣٢٨ براءة اختراع، وسجل الكيان الصهيوني ٧٦٥٢ براءة اختراع خلال نفس الفترة.

هذا إن لم نشر إلى مشكلة تفشي الأمية وهجرة العقول العربية إلى الخارج، ومشاكل القوة الذاتية الطاردة للكفاءات الوطنية في الدول العربية، فخلال عامي ١٩٩٨و ٢٠٠٠ غادر أكثر من ١٥ ألف طبيب عربي إلى الخارج وأن ٢٥٪ من أصل ٣٠٠ ألف خريج جامعي هاجروا إلى أوروبا وأميركا قبل عام ١٩٩٦ فقط، وهذه كلها من العوامل التي تكرس تأخرنا عن العالم المتقدم في مجال البحث العلمي منذ نشوء أول أشكال سائل الاتصال والإعلام الجماهيري الدولي في القرن الخامس عشر .فكيف نشأت؟

وظائف الصحافة الدولية:

ونحن في أمس الحاجة أكثر من أي وقت مضى لمعلومات عن الظروف المحيطة بنا، وتصلنا هذه المعلومات وبسرعة فائقة ودقة كبيرة عن طريق وسائل الإعلام الجماهيرية التي باتت تستخدم أحدث وسائل الاتصال المزودة بأحدث المعدات

الإلكترونيــة والتجهيــزات المتطــورة باهظــة التكاليــف، تلــك المعلومــات التــي تســاعدنا عــلى اتخــاذ القــرارات وتنفيذهــا. وأصبحــت الدولــة أكــثر مــن ذي قبــل تشــارك عــن طريــق ممثليهــا في التأثــير عــلى مجــرى الحيــاة الاجتماعيــة في الداخــل والخــارج مــن خــلال سياســاتها الداخليــة والخارجيــة مســتعينة بوســائل الإعــلام الجماهيريــة، وأصبحــت المصالــح الوطنيــة العليــا للدولــة أكــثر تأثــيراً في عمليــة اتخــاذ القــرارات عــلى الصعيديــن الداخــلي والخارجــي. ودخلــت وســائل الإعــلام الجماهيريــة القريــة والمدينــة والتجمعــات الســكانية أينــما كانــت، وتحولــت إلى نظــام مفتــوح أمــام قــوى التغيــير الآتيــة مــن الداخــل ومــن الخــارج، وأصبحــت وســائل الإعــلام الجماهيريــة التــي كانــت يومــاً مــا تصــل إلى جمهــور محــدود وبتأثــير محــدود، تصــل اليــوم إلى كل ســكان العــالم تقريبــاً، لتؤثــر عــلى آراء النــاس وتصرفاتهــم وأســلوب حياتهــم، فالصحيفــة والمجلــة والكتــاب الــذي كان يقــرؤه في المــاضي عــدد محــدود مــن الأفــراد، يقــرؤه اليــوم ملايــين البــشر، مطبوعــاً أم منقــولاً عــبر البريــد الإلكــتروني وشــبكات الكمبيوتــر المتطــورة، والبرنامــج الإذاعــي الــذي كان يســمعه النــاس في دائــرة محــدودة أصبحــت تســمعه الملايــين مــن البــشر في مناطــق متباعــدة مــن العــالم، والبرنامــج التلفزيــوني الــذي كان حكــراً عــلى منطقــة جغرافيــة محــدودة أصبــح اليــوم في متنــاول المشــاهد عــبر قــارات العــالم. وأجهــزة الاتصــال الحديثــة حلــت مــكان المبرقــات التلغرافيــة القديمــة، مــما جعــل النــاس يؤمنــون بــأن تلــك الوســائل قــادرة عــلى التأثــير في المجتمــع وتغيــيره بشــكل أســاسي ليــس عــلى الصعيــد المحــلي وحســب، بــل وعــلى الصعيــد العالمــي.

وبــرز كإعــلام دولي لــه مكانتــه وتأثــيره ووظائفــه. وكــما كان للإعــلام الــدولي دوافعــه المحــددة، كــما أشرنــا ســابقاً، فلــه وظائــف محــددة أيضــاً يؤديهــا تنفيــذاً للــدور الــذي تفــرده لــه السياســة الخارجيــة للدولــة، وهــي:

١. الاتصــال بالأفــراد والشرائــح الاجتماعيــة والجماعــات والكتــل السياســية والمنظــمات داخــل الدولــة التــي يمــارس نشــاطاته الإعلاميــة داخلهــا، وتتمثــل بالحــوار مــع القــوى المؤثــرة في اتخــاذ القــرار الســياسي مــن شــخصيات وأحــزاب وكتــل برلمانيــة، ســواء

أكانـت في السـلطة أم في المعارضـة عـلى السـواء، للوصـول إلى الحـد الأقـصى مـن الفاعليـة التـي تخـدم السياسـة الخارجيـة لبـلاده، وتخضـع عمليـة الاتصـال عـادة لمعطيـات هامـة مـن حيـث المواقــف مــن القضايــا المطروحــة قيــد الحــوار ومواقــف الســلطة والمعارضــة منهــا والخــط الســياسي الرسـمي للدولـة حيالهـا. وتـتراوح هـذه المواقـف عـادة مـا بـين المؤيـد التـام، والمؤيـد، والحيــاد التــام، والحيــاد، والمعارضــة التامــة، والمعارضــة، والعــداء التــام، والعــداوة، ولهـذا كان لابـد مـن التحديـد الدقيـق للموقـف السـياسي للدولـة، والمواقـف الأخـرى، للعمـل عـلى كسـب التأييــد الــلازم لصالــح القضايــا المطروحــة للنقــاش، والعمــل عــلى زحزحــة المواقــف السياســية المعلنـة للدولـة، لصالـح تلـك القضايـا. أو خلـق منـاخ ملائـم للحـوار الإيجـابي عـلى الأقـل.

كـما ويجـب الأخـذ بعـين الاعتبـار أيضـاً طبيعـة النظـام السـياسي السـائد في تلـك الدولـة، ومـدى ديمقراطيـة هـذا النظـام، وطـرق اتخـاذ القـرارات السياسـية في ظـل النظـام السـياسي القائـم، ومـدى المشـاركة الفعليـة لـكل القـوى السياسـية الموجـودة في اتخـاذ تلـك القـرارات، لأن الاتصـال بالجماهـير الشـعبية في أي دولـة يتـم مـن خـلال تلـك القـوى التـي تمثـل النخبـة المؤثـرة، أولاً: بـين أصحـاب الحـق باتخـاذ القـرارات؛ وثانيـاً: عـلى الجماهـير الشـعبية، التـي هـي بمثابـة قـوة ضاغطـة عـلى أصحـاب حـق اتخــاذ القــرار، ومــن هنــا نفهــم مــدى أهميــة إلمــام خــبراء الإعــلام والمخططــين للحمــلات الإعلاميــة الدوليـة، بالنظـم السياسـية للبلـدان المسـتهدفة والقـوى المؤثـرة فيهـا سـلطة أم معارضـة، ودور كل مـن تلـك القـوى في اتخـاذ القـرارات لاسـتخدامها في التخطيـط للحمـلات الإعلاميـة المؤيـدة أو المضـادة آخذيـن بعـين الاعتبـار الحقائـق الاجتماعيـة والثقافيـة التـي تسـاعد عـلى نجـاح الحمـلات الإعلاميـة الدوليـة.

٢- الاتصـال المباشر بالجماهير الشـعبية، عن طريق وسـائل الإعلام والاتصـال الجماهيري ومن خلال النشرات الإعلاميـة، والمؤتمـرات الصحفيـة، والمقـالات، والبرامـج الإذاعيـة والتلفزيونيـة، والإلكترونيـة، والعروض السـينمائية والمسرحية، وأفلام الفيديو، وإقامة المعارض الإعلامية، وتشـجيع السـياحة وتبادل الزيارات،

وغيرهـا مـن الوسـائل التـي تتيـح أكـبر قـدر ممكـن مـن الصـلات المبـاشرة مـع الجماهـير، للوصـول إلى تأثـير إعلامـي أفضـل وأكـثر فاعليـة.

وتأخـذ بعـض الـدول لتحقيـق سياسـتها الخارجيـة أسـلوب مخاطبـة الجماعـات المؤثـرة فقـط، توفـيراً للنفقـات التـي تترتـب مـن جـراء اسـتخدام أسـلوب الاتصـال بالجماهـير الشـعبية العريضـة، وتوفـيراً للوقـت الـذي يسـتغرق مـدة أطـول مـن الوقـت الـلازم عنـد مخاطبـة قطاعـات وشرائـح اجتماعيـة متباينـة مـن حيـث المصالـح والتطلعـات، ومسـتوى التعليـم، والثقافـة، والاتجـاه الفكـري. ومزاجيـة الجماهـير العريضـة في متابعـة القضايـا المطروحـة، المحصـورة في بوتقـة اهتمامـات شريحـة اجتماعيـة معينـة فقـط، ولأن أسـلوب الاتصـال الفعـال بالجماهـير الشـعبية يحتـاج أيضـاً لإمكانيـات كبـيرة ووسـائل متعـددة، تفتقـر إليهـا الـدول الفقـيرة والناميـة بينـما نراهـا متوفـرة لـدى الـدول الغنيـة القـادرة مـن حيـث الإمكانيـات الماديـة والتقنيـة والخـبرات الإعلاميـة، التـي تمكنهـا مـن اسـتخدام الأسـلوبين في آن معـاً.

٣- ويمثـل الإعـلام الـدولي الدولـة أو المنظمـة التـي ينتمـي إليهـا، سـواء أكانـت محليـة أم إقليميـة أم دوليـة أم متخصصـة أم تجاريـة، كمكاتـب الأمـم المتحـدة ومؤسسـاتها المتخصصـة في العديـد مـن دول العـالم، ومكاتـب منظمـة الوحـدة الإفريقيـة، والجامعـة العربيـة، والأوبيـك، ومنظمـة المؤتمـر الإسـلامي، ومنظمـة التعـاون لـدول الخليـج العربيـة، والسـوق الأوربيـة المشـتركة، ومنظمـة شـنغهاي للتعـاون، ورابطـة الـدول المسـتقلة، ورابطـة أوروآسـيا الاقتصاديـة، وغيرهـا مـن المنظـمات الدوليـة والإقليميـة.

ونحـن عندمـا نـرى اليـوم الـدول الغنيـة تسـتخدم كل تقنيـات وسـائل الاتصـال الحديثـة في خدمـة حملاتهـا الإعلاميـة الدوليـة، ومـن أبسـط صورهـا القنـوات التلفزيونيـة الفضائيـة، بعـد انتشـار اسـتعمال هوائيـات اسـتقبال البـث التلفزيـوني عـبر الأقـمار الصناعيـة في المنـازل، وشـيوع اسـتخدام شـبكات الكمبيوتـر بشـكل واسـع، ومـن أهـم هـذه الشـبكات، شـبكة الكمبيوتـر العالميـة " إنترنيـت « التـي تملكهـا وتديرهـا الولايـات المتحـدة الأمريكيـة، دون منافسـة تذكـر حتـى الآن. بينـما نـرى الـدول الناميـة تتخبـط بمشـاكلها الإعلاميـة، وتعـاني مـن الآثـار المترتبـة عـن التطـور التكنولوجـي الحديـث، والخلـل الفاحـش في التدفـق الإعلامـي الـدولي أحـادي الجانـب والتوجـه والتأثـير.

مشاكل الصحافة الدولية:

ورغم الجهود الحثيثة التي بذلتها وتبذلها الدول النامية والفقيرة حتى اليوم، للخروج من المأزق الإعلامي التي تعاني منه، نراها تتخبط حتى اليوم بمشاكلها الإعلامية التي تزداد تشعباً وتعقيداً كل يوم، بسبب التطور العلمي والتكنولوجي الهائل في ميدان وسائل الاتصال الحديثة، ووسائل الإعلام الجماهيرية حتى على الصعيد الوطني، ومن أهم هذه المشاكل:

الخلط بين الوظيفة الإعلامية الدولية، والوظيفة الإعلامية الإقليمية، والوظيفة الإعلامية المحلية، ومتطلبات كل من تلك الوظائف وخصائصها المتميزة؛ والخلط بين السياسات الداخلية والإقليمية والخارجية للدولة عند التخطيط للحملات الإعلامية الدولية، والارتباك في تحديد الأولويات؛ وضعف أجهزة وتقنيات المؤسسات الإعلامية الوطنية، وافتقارها للمعدات والتجهيزات المتطورة، والإمكانيات المادية اللازمة للحملات الإعلامية الدولية، أو استخدامها للإعتمادات المالية المتاحة بشكل سيء، أو بشكل غير فعال في الأغراض المطلوبة، إضافة لسطحية المساعدات الخارجية التي تحصل عليها تلك الدول من الدول الغنية، والمنظمات الدولية المتخصصة؛ والنقص الفاضح في الكوادر الإعلامية المتخصصة بالإعلام المحلي والدولي، وندرة أصحاب التخصص الأكاديمي بينهم، مما يؤدي إلى:

اختيار كوادر غير كفء للعمل الإعلامي الدولي، لاعتبارات سياسية في أكثر الأحيان، وهذا بدوره يؤدي إلى: غياب التنسيق بين المخطط والمنفذ وأجهزة المتابعة، في الحملات الإعلامية الدولية؛ وضعف الإلمام بخصائص الجمهور الإعلامي الأجنبي، وعدم وضع أسلوب إعلامي منطقي ملائم ومتطور قادر على إيصال مضمون الرسالة الإعلامية للجمهور المستهدف من الحملة الإعلامية الدولية؛ وغياب التعاون وحتى التنسيق بين المؤسسات الإعلامية، ومؤسسات التعليم العالي المتخصص ومؤسسات البحث العلمي، فيما يخص إعداد الكوادر الإعلامية الوطنية والبحوث العلمية والتطبيقية، وخاصة فيما يتعلق بدراسة راجع الصدى الإعلامي وتأثير المادة الإعلامية، وفاعلية الخطط الإعلامية.

والاكتفاء بدلاً عن ذلك بالبحوث النظرية البحتة التي تتناول الجوانب الوصفية والتاريخية فقط، مبتعدة عن الدراسات التي تتناول جوهر التخطيط، وتحليل مضمون الرسائل الإعلامية، وتقدير راجع الصدى الإعلامي المخطط له وراجع الصدى الفعلي للمواد والوسائل الإعلامية.

الصحافة الدولية والصراعات الدولية:

يعاني عالم اليوم من صراعات سياسية ومنازعات عسكرية عديدة، وقد بينت السوابق التاريخية أن لكل صراع أبعاداً داخلية، وأبعاداً إقليمية، وأبعاداً دولية، وعناصر قوى يجب مراعاة التفاعل بينها، وتأثير هذا التفاعل على تطور الصراع بشكل عام، بقصد التعامل مع هذا الصراع ومعالجته بالشكل المناسب، وهذا لا يمنع وجود عناصر مشتركة بين الصراعات المختلفة، يمكن الاستفادة منها عند معالجة تلك الصراعات أو التعامل معها.

وتعتمد النتائج النهائية لأي صراع من الصراعات، على عناصر القوة المتوفرة لدى كل طرف من أطرافه، وتضم هذه العناصر القوى العسكرية، والمعلوماتية، والتكنولوجية، والإمكانيات الاقتصادية، والسياسية، والبشرية، والحالة المعنوية للقوى البشرية، كما وتعتمد على مسائل أخرى كعنصر المفاجأة، وتطوير الإستراتيجية والتكتيك، واللجوء إلى أساليب جديدة غير معروفة من قبل، مما تجعل عملية التنبؤ بنتائج الصراع صعبة جداً، وفي بعض الأحيان غير مجدية، إضافة للإمكانيات الذاتية للأشخاص القائمين على إدارة الصراع، ومدى توفر المعلومات لديهم، والتقنيات والأدوات الحديثة التي يستخدمونها في الصراع .فصانع القرار في عملية الصراع يبني قراره على معطيات ملموسة أولاً، وعناصر غير ملموسة تشمل الخصائص النفسية والحالة المعنوية للخصم ثانياً.

وتقتضي معالجة أي صراع الاعتماد على العقلانية وبعد النظر واستبعاد العواطف والانفعالات. لأن عملية معالجة أي صراع هي عملية معقدة وشاقة، ونابعة أساساً من

عناصر القوى المشاركة فعلاً في الصراع من الجانبين، ومبنية على الحسابات الدقيقة والخطط الموضوعة، والمستخدمة فعلاً من قبل طرفي الصراع.

وتتنوع أدوات الصراع، عندما تقتضي ظروف الصراع اللجوء إلى القوة العسكرية تارة، وإلى القوة الاقتصادية تارة أخرى، أو إلى العمل السياسي والدبلوماسية الهادئة في حالات أخرى، أو قد يلجأ الجانبان المتصارعان إلى استخدام القوة العسكرية، والاقتصادية، والسياسية، والدبلوماسية في آن معاً، مستخدمين المرونة في تكتيك إدارة الصراع وفقاً لطبيعة الظروف المتبدلة محلياً وإقليمياً ودولياً.

ولكن يبقى دور وسائل الإعلام الجماهيرية في عملية الصراع متمثلاً بتعبئة الرأي العام المحلي والعالمي حول وجهة النظر الرسمية للدولة من الصراع الدائر، وشرحها، وتغطية أخبار أهم أحداثها تباعاً. وشرح وتحليل أبعاد هذا الصراع وأسبابه، مع مراعاة أن يأخذ خبراء الإعلام والصحفيون بعين الاعتبار، خصائص الجمهور الإعلامي المخاطب ثقافياً وسياسياً وتاريخياً، ومدى تعاطفه مع وجهة النظر الرسمية للدولة المعنية في هذا الصراع، واختيار اللغة المناسبة للرسالة الإعلامية لتصل إلى أقصى حد ممكن من التأثير والفاعلية. لأن سلاح الإعلام في أي صراع كان لا يقل أهمية عن القوة العسكرية والاقتصادية، وهو الوسيلة الناجعة لرفع معنويات القوى البشرية في الدولة المعنية، وتحطيم الروح المعنوية للخصم في الصراع الدائر، والإعلام الناجح هو السند القوي للكفاح على الجبهة السياسية والعمل الدبلوماسي الهادئ والرصين والمنطقي.

ولكننا نرى أن الدراسات الإعلامية في الدول المتخلفة لم تزل حتى الآن محصورة في إطار مساقات الإعلام التي تدرس في الجامعات، وبارتباط بالإشكاليات الظرفية والمكانية والمناخ السياسي والاقتصادي والتنموي الذي تعمل فيه وسائل الإعلام والاتصال الجماهيرية المعنية، دون الاعتماد على الظروف التاريخية، والاقتصادية، والسياسية، والثقافية، والإستراتيجية الموضوعية بالكامل، وهي نفس الظروف التي تحيط بالإعلام العربي كما هي الحال في معظم الدول الإفريقية والأمريكية اللاتينية والآسيوية.

وتشـير الدراسـات الإعلاميـة إلى أنـه إعـلام لا يتجـاوز كونـه وسـيلة ناقلـة للخـبر أو المعلومـة وليـس أكـثر مـن ردة فعـل عـلى مـا تـورده وسـائل الإعـلام الدوليـة، في الوقـت الـذي أخـذت فيـه الشـبكات العالميـة بالبـث مـن داخـل بعـض الـدول وبلغاتهـا القوميـة ومنهـا شـبكة "MTV" العالميـة التـي دشـنت قناتهـا العربيـة انطلاقـا مـن دبي في نهايـة عـام ٢٠٠٧ ، عـبر شراكـة مـع المجموعـة العربيـة للإعـلام. وبالرغـم مـن الكـم الكبـير للقنـوات الغنائيـة والشـبابية العربيـة، إلا أن مسـؤولي "MTV" العربيـة واثقـون مـن قدرتهـم عـلى المنافسـة، غـير عابئـين بحجمهـا.

وأشـار بيـل رودي نائـب رئيـس شـبكات MTV الدوليـة إلى أنـه لا توجـد قنـوات يمكنهـا منافسـة قناتـه المرتقبـة، معتـبرا أنهـا سـتكون منـبراً ثقافيـاً للشـباب وليـس مجـرد قنـاة للموسـيقى، وسـتعمل عـلى نـشر مزيـج فريـد مـن المحتويـين العـربي والـدولي، وهـذا يعنـي اسـتفادة الشـبكة مـن نتائـج الدراسـات العلميـة والتطبيقيـة الميدانيـة التـي لابـد وأنهـا قامـت بهـا لدراسـة واقـع السـاحة الإعلاميـة العربيـة، وهـي الدراسـات الغائبـة في مجـال البحـث العلمـي في الـدول العربيـة تقريبـاً. وبهـذا تكـون اللغـة العربية اللغــة التاسـعة والعشريــن التــي تبــث بهــا قنــاة MTV" العالميــة»، وأعلــن أن قنــاة MTV" العربيــة"، سـتكون قنـاة مفتوحـة عـلى مـدار اليـوم تلبـي مـن خـلال برامجهـا احتياجـات جمهـور المشـاهدين الشـباب في المنطقـة العربيـة، إذ تعـول القنـاة عـلى الفئـة العمريـة ممـن هـم دون سـن الــ ٢٥ سـنة، والذيـن يشـكلون أكـثر مـن نصـف إجـمالي سـكان منطقـة الـشرق الأوسـط، حيـث سـتعمل قنـاةMTV" العربيـة» عـلى اسـتقطاب هـذه الفئـة الكبـيرة مـن خـلال تقديـم العديـد مـن البرامـج والمـواد المختـارة بعنايـة.

والسـؤال الـذي لا بـد مـن طرحـه هنـا هـو رغـم أن الشركـة الدوليـة معروفـة الانتـماء فـأي مصالـح وطنيـة سـتمثل ؟ وأيـة ثقافـة قوميـة سـتغرس في نفـوس الشـباب العـربي الذيـن هـم في طـور التكويـن بعـد ؟ فهـل حـاول بعـض المحللـين الإعلاميـين الوطنيـين الإجابـة عليهـا ؟ وأشـك بذلـك صراحـة!

فقـد أشـار عبـد اللطيـف الصايـغ رئيـس مجلـس إدارة المجموعـة الإعلاميـة العربيـة إلى أن «شراكتنـا مـع شـبكة "MTV" العالميـة تعـد خطـوة هامـة في إطـار رؤيتنـا الإسـتراتيجية بعيـدة المـدى والخاصـة بإطـلاق قنـاة دوليـة مخصصـة لعـرض البرامـج الموسـيقية والثقافيـة العربيـة، وأضـاف لا شـك مـن أننـا مسروريـن لإطـلاق قنـاة MTV" العربيـة»، ونتطلـع نحـو تحقيـق المزيـد مـن فـرص النمـو في المنطقـة». وتتضمـن الخطـة البرامجيـة للقنـاة عـرض الأغـاني المصـورة، والبرامـج المتخصصـة بالموسـيقى، ونخبـة مـن برامـج المنوعـات، وتلفزيـون الواقـع، والمسلسـلات الكوميديـة والدراميـة، وتقديـم نـشرات الأخبـار، والمقابـلات والبرامـج الوثائقيـة، كـما سـتقدم قنـاة "MTV" العربيـة، بالإضافـة إلى برامـج قنـاة"MTV" العالميـة التـي لاقـت شـعبية واسـعة، برامـج تعالـج القضايـا المحليـة لتلبيـة احتياجـات جمهـور الشـباب العـربي بشـكل خـاص. وهنـا لا بـد مـن الإشـارة إلى أن قنـوات "MTV" تـم إطلاقهـا في عـام ١٩٨١ في وقـت كانـت فيـه خدمـات البـث التلفزيـوني عـن طريـق الكابـلات لا تـزال في بداياتهـا الأولى، ومنـذ ذلـك الوقـت شـهدت الشـبكة تطـورات هائلـة لتصبـح مـن أكـبر الشـبكات التلفزيونيـة في العـالم، مـن خـلال كونهـا جـزءاً مـن ثقافـة الشـباب، وتنـوع الثقافـات في العـالم.

ومفهـوم أنهـا ستسـتخدم اللغـة العربيـة التـي ترتبـط بتاريـخ، وثقافـة، وهويـة، كل العـرب وتحظـى باهتماماتهـم ورعايتهـم، وهـم يسـعون اليـوم لاسـتكمال جهودهـم للنهـوض بهـا في المرحلـة التـي يتعـرض فيهـا وجودهـم القومـي لمحـاولات طمـس الهويـة القوميـة ومكوناتهـا والـذي يشـكل التمسـك باللغـة العربيـة عنوانـا للتمسـك بهـذا الوجـود ذاتـه.

وتتعـرض لغـزو لغـوي مسـتمر ومتخفـي بـرداء العولمة الثقافيـة وبلغ مـن الخطورة مبلغـاً حمل أعلى القيـادات السياسـية في الـدول العربيـة عـلى أن تجعـل التصدي له في هـذه المرحلة مـن أولوياتها وعلى قدم المسـاواة مـع التحديـات الكبـيرة التـي تواجههـا الأمـة العربيـة مسـاهمة بذلك مع القـوى العالميـة الممانعة والمقاومـة لطمـس الثقافـات الأصيلـة أو تذويبهـا في أتـون العولمـة الثقافيـة أو بـالأدق أمركتهـا، ولكـن دون نكـران الحاجـة إلى أن يهتـم المـرء باللغـات الأجنبيـة، لأنهـا جـسر التواصـل بين العـرب وثقافـات غيرهـم من

الأمم، ولكن دون أن تكون أية لغة أجنبية بديلة عن اللغة العربية عند العرب، أو أن تكون من عوامل طمسها أو تحريف ثقافتها.

ولابد أن من عوامل الجذب إلى السوق الإعلامية العربية كانت زيادة حجم الإنفاق الإعلاني وازدهاره في بعض الدول العربية الذي هو من مؤشرات انتعاش دور وسائل الإعلام الجماهيري وسعة انتشارها، فدولة الإمارات العربية المتحدة مثلاً لوحظ فيها خلال الربع الأول من عام ٢٠٠٤ نمواً بنسبة ٣٥٪ مقارنة بنفس الفترة من عام ٢٠٠٣.

وحسب معلومات الجمعية الدولية للإعلان، فإن حجم الإنفاق في دولة الإمارات العربية المتحدة بلغ ٤٤٦ مليون دولار خلال عام ٢٠٠٣، وبلغ متوسط نصيب الفرد من الإنفاق الإعلاني في الإمارات ١٦٠ دولاراً، فيما كان نصيب الفرد في بقية دول مجلس التعاون الخليجي ٦٥ دولاراً فقط، مقارنة بحوالي ٣٠٠ دولار في الولايات المتحدة وأوروبا وكندا.

ونما حجم الإنفاق الإعلاني في السوق الإعلامية العربية عامة بنسبة ١٣٪ خلال عام ٢٠٠٥. بينما وصل حجم الإنفاق الإعلاني في المملكة السعودية إلى نحو ٥٤٣,٢ مليون دولاراً أمريكياً خلال العام المنتهي في أبريل/نيسان ٢٠٠٤ بارتفاع مقداره ١٦٪ مقارنة بحجم الإنفاق المماثل من العام السابق، الذي كان ٤٦٨,٣ مليون دولاراً أمريكياً، واستحوذت الصحف على حصة وصلت إلى ٤٠١,٢ مليون دولاراً أمريكياً لتمثل أعلى حصة تستحوذ عليها وسيلة إعلانية وبمعدل ٧٤٪ من حجم هذا الإنفاق الإجمالي، في حين تقاسمت وسائل الإعلام الأخرى الحجم المتبقي من الإعلان والبالغ١٤٢,١ مليون دولاراً أمريكياً.

وأشار أحدث تقرير عن حجم الإنفاق الإعلاني في المملكة العربية السعودية والصادر عن مركز بارك للدراسات العربية (Park) مستوى الإنفاق الشهري في السعودية خلال عام بدأ من مايو/أيار ٢٠٠٣ وحتى أبريل/نيسان ٢٠٠٤، وأشار إلى أن شهر أكتوبر/تشرين الأول كان أكثر الشهور إنفاقا، حيث بلغ ٦٠,٣ مليون دولاراً أمريكياً، في حين كان أغسطس/آب من اقل الشهور إنفاقاً وكان ٢٧,٧ مليون دولاراً

أمريكيـاً، وان معـدل النمـو السـنوي للإنفـاق الإعـلاني شـهد زيـادات في الــ ٩ أشـهر مـن العـام ٢٠٠٤ مقارنـة بنفـس الأشـهر مـن العـام الأسـبق، وان معـدلات الإنفـاق الإعـلاني تراجعـت خـلال ٣ أشـهر وهـي في مايو/أيـار نسـبة ١٪، وفي يونيو/حزيـران نسـبة ٦٪، ونوفمبر/تشريـن الثـاني نسـبة ١٣٪.

وحـازت الصحـف في المملكـة العربيـة السـعودية عـلى أعـلى تفضيـلات للمعلنـين حيـث اسـتحوذت الصحـف عـلى ٤٠١,٢ مليـون دولاراً أمريكيـاً أو نسـبة ٧٤٪ مـن الإنفـاق، في حـين جـاءت المجـلات في المرتبـة الثانيـة واسـتحوذت عـلى ٥٠,٣ مليـون دولار أي نسـبة ٩,٢٪، تتلوهـا اللوحـات الإعلانيـة واسـتحوذت ٤٧,٦ مليـون دولار أي نسـبة ٨,٨٪، والتلفزيـون واسـتحوذ ٤٠,٧ مليـون دولار أي نسـبة ٧٪، في حـين لم يـزد نصيـب الراديـو عـن ٣,٥ مليـون دولار فقـط، ومـن جهـة أخـرى أشـار التقريـر إلى أن المملكـة العربيـة السـعودية كانـت الأولى عـلى مسـتوى دول الخليـج العربيـة مـن حيـث الإنفـاق الإعـلاني عـلى مـدار عـام، تلتهـا دولـة الإمـارات العربيـة المتحـدة واسـتحوذت عـلى ٥٠٦ مليـون دولاراً أمريكيـاً، ثـم الكويـت واسـتحوذت عـلى ٣٢٨ مليـون دولاراً أمريكيـاً، والبحريـن واسـتحوذت عـلى ٩٧ مليـون دولاراً أمريكيـاً، وعـمان وقطـر واسـتحوذتا عـلى ٥٧ مليـون دولاراً أمريكيـاً لـكل منهـما.

وعـلى مسـتوى الـدول العربيـة جـاءت المملكـة العربيـة السـعودية في المرتبـة الثانيـة بعـد مـصر التـي بلـغ الإنفـاق الإعـلاني فيهـا ٦٢٣ مليـون دولاراً أمريكيـاً، ثـم دولـة الإمـارات العربيـة المتحـدة ودولـة الكويـت، في حـين احتلـت لبنـان المرتبـة الخامسـة بحجـم إنفـاق بلـغ ٢٩٩ مليـون دولاراً أمريكيـاً خـلال العـام الـذي انتهـى في أبريـل٢٠٠٤ ، ومـا هـذا إلا دليـل يشـير إلى حقيقـة انتشـار وسـائل الإعـلام العربيـة وجذبهـا للمعلنـين وهـو مـا تـم دراسـته في الوقـت التـي نـرى نـدرة وسـطحية الدراسـات الوطنيـة التـي تتنـاول الجوانـب الإعلاميـة الأخـرى.

وهـــذا في الوقـــت الـــذي أشـــارت إحصـــاءات شركـــة فوريســـتر كـــما ذكـــرت البـــي بي سي إلى أن الإعلانـــات الالكترونيـــة في أوروبـــا ســـتبلغ ٢٢ مليـــار دولاراً أمريكيـــاً بحلـــول عـــام ٢٠١٢وهـــذا يعنـــي ضعـــف القيمـــة المســـجلة في العـــام ٢٠٠٦ ومـــا يعنـــي أن الإعلانـــات الالكترونيـــة ستســـجل مـــا قيمتـــه ١٨٪ مـــن إجـــمالي الإنفـــاق الإعـــلاني حينهـــا، بينـــما هـــي

٦٪ الآن. وهـو مـا يحتـاج أن يأخـذ المسـؤولون والمخططـون الإعلاميـون العـرب هـذا بعـين الاعتبـار، خاصـة وأن عـدد مسـتخدمي موقـع «ويكبيديـا» الإلكـتروني زاد بواقـع ٢٠ مليـون مسـتخدم شـهريا خـلال العـام المـاضي ٢٠٠٦ ليصـل الإجـمالي إلى ٤٦,٨ مليـون حسـب مـا ذكرتـه إحصـاءات شركـة «نيلسـن نـت رايتينغـز»، و«ويكبيديـا "الموسـوعة الكترونيـة المفتوحـة التـي باتـت أحـد مراجـع المعلومـات والأخبـار العالميـة.

وفي دراسـة أجرتهـا شركـة «هيـل انـد نولـتن – الـشرق الأوسـط»، اعتـبر٩٤ ٪ مـن المسـؤولين الإداريـين في الـشرق الأوسـط أن السـمعة المؤسسـاتية هـي في غايـة الأهميـة، وأضـاف ٧٧٪ منهـم أن السـمعة هـي إحـدى ٣ أهـم عوامـل ينظـر إليهـا المسـتثمرون، وكانـت أعـلى النتائـج في دولـة الكويـت حيـث قـال مسـؤولي هيـل انـد نولـتن أنهـا مـن أكـثر بلـدان الخليـج نشـاطا في مجـال برامـج المسـؤولية المؤسسـاتية.

مـكان الصحافـة العربيـة في الـصراع: رغـم عراقـة الصحافـة العربيـة وخبرتهـا التـي تشـير إليهـا بعـض الدراسـات الإعلاميـة وتذكـر أن الصحافـة أخـذت بالانتشـار في الـدول العربيـة منـذ القـرن التاسـع عـشر، وأن دولـة الكويـت أو مملكـة البحريـن أو إمـارة دبي لم تكـن أولى المناطـق التـي ظهـرت فيهـا الطباعـة والصحافـة مـن بـين دول مجموعـة «دول مجلـس التعـاون الخليجـي»، كـما تُعـرف الـدول الخليجيـة اليوم، بـل كانـت الحجـاز العثمانيـة السـبّاقة بعـد بـلاد الشـام العثمانيـة ومـصر، حيـث تأسسـت عـام ١٨٨٢ مطبعـة «حجـاز ولايتـي مطبعـة سي» ولم تدخـل أولى المطابـع إلى البحريـن إلا عـام ١٩٣٤، ودخلـت دولـة الكويـت بعـد ذلـك بسـنوات، وكانـت الحجـاز المـكان الـذي شـهد أولى التجـارب الصحفيـة الخليجيـة مـع صـدور جريـدة «الحجـاز» عـام ١٩٠٨ و«شـمس الحقيقـة» في العـام التـالي، ورغـم مـضى أكـثر مـن ٧٥ عاماً عـلى صـدور أول مجلـة كويتيـة، في مـارس/آذار ١٩٢٨، عندمـا صـدر العـدد الأول مـن مجلـة «الكويـت»، التـي أشـارت عـلى صـدر غلافهـا بأنهـا «مجلـة دينيـة تاريخيـة أدبيـة أخلاقيـة، تصـدر في الكويـت»، وكان الشـيخ عبـد العزيـز الرشـيد، مـؤرخ الكويـت المعـروف، يعـد مـواد المجلـة في الكويـت، وبعـد ذلـك مـن مقـر إقامتـه المؤقـت في البحريـن بعـد انتقالـه إليهـا، وكان يطبعهـا في «المطبعـة العربيـة» بالقاهـرة، التـي

كان يملكها ويديرها الشاعر والأديب السوري خير الدين الزركلي، في مصر، ليكون الكويتيون بذلك أول من مارس التعاون الإعلامي العربي منذ مطلع القرن الماضي.

وقد بلغ عدد المشتركين في المجلة قرابة الثلاثمائة شخص وهيئة، واستمرت في الصدور حتى مارس/آذار من عام ١٩٣٠، وكان الرشيد خلال سنتي الصدور القصيرتين، منشئ المجلة وصاحبها ورئيس تحريرها ومديرها المسؤول، إلى جانب قيامه بدور المراسل، والموزع، والمحاسب، بعد أن وافق أمير دولة الكويت آنذاك على إصدار المجلة، بشرط أن يطلعه الشيخ عبد العزيز الرشيد على محتوى العدد الأول منها، وقرر الأمير أحمد الجابر أن يكون الشيخ يوسف بن عيسى القناعي مراقباً على المجلة.

وكانت بداية لـ«الرقابة» في الحياة الصحفية الكويتية، وشهد النشر في دولة الكويت منذ تأسيسه مظاهر سلبية عديدة، ومظاهرة إيجابية نتمنى لها الانتشار في بقية دول الخليج والعالم العربي، ألا وهي إعادة إصدار طبعات من الصحف والمجلات القديمة، لوضعها بين أيدي الباحثين المعاصرين. وبعد مرور كل هذه السنوات على بداية الحياة الصحفية منذ عام ١٩٢٨، وصدور صحف يومية، وعدد كبير من المجلات باللغة العربية ، لم تزل الكويت مثلها مثل الدول العربية الأخرى، بحاجة ماسة إلى الدراسات والاستبيانات والإحصائيات التي تعطي المسؤول والكاتب والقارئ معاً تصوراً دقيقاً عما تتناوله المواد الصحافية المنشورة، وصدى راجعها الإعلامي والفكري والتقني والعلمي.

استطلاع رأى :

لفت انتباهي نتائج استبيان نشرته صحيفة «القبس» الكويتية، يوم ١٢ يونيو/ حزيران عام٢٠٠٤ ، وشمل عينة عشوائية من الكويتيين ذكوراً وإناثاً بلغ عددهم ٤٠٦، وتراوحت أعمارهم بين ٢٤ و٥٠ سنة، من فئة الموظفين، أبدوا آرائهم وانطباعاتهم حول الصحافة، وأول استطلاع للرأي العام أجرته صحيفة تشرين الدمشقية ونشرته

في عددها الصادر يوم ٢٠٠٧/٢/١١ وأظهر تراجعاً بنسبة ٣٩٪ في عدد قراء الصحف الرسمية اليومية. ومعروف أن أكثر الصحف العربية تقوم باستطلاعات مشابهة وتنشر نتائجها على صفحاتها وتظهر كلها الحاجة الملحة للدول العربية إلى دراسات منهجية في هذا المجال والاستمرار بمثل هذه الأبحاث من خلال وضع منهج ومدخل علمي عربي من ضمن إستراتيجية عربية تمكن من تفعيل دور المؤسسات الإعلامية ووسائل الإعلام والاتصال الجماهيري في عملية التواصل الثقافي العربي - العربي، والعربي - العالمي.

إذ لا يمكن إيجاد تواصل ثقافي وحضاري وتأمين الفرص اللازمة لاستمراره دون المعرفة الدقيقة لأطراف عملية التبادل الإعلامي الدولي، والتحديد الدقيق للقضايا المطروحة لمناقشة المشكلات الإنسانية العالمية ومحاولة التقريب بين وجهات النظر الحالية والمستقبلية والمشاركة في تأسيس نظام إعلامي عالمي جديد من خلال إستراتيجية إعلامية توفر ظروف تفعيل التواصل الثقافي العربي – العربي، والعربي - العالمي، تواصل ينطلق من نظريات ومناهج التحليل المعرفي والثقافي والإنساني.

خاصة بعد أن ثبت يقينا بعد سقوط النظام ثنائي القطبية بعد انهيار المنظومة الاشتراكية ونهاية عصر الحرب الباردة، أن المناهج السياسية التقليدية عاجزة عن فهم وتأويل العالم المعقد، وأننا بحاجة إلى منهجية جديدة للتحليل المعرفي والثقافي والإنساني كي نرسخ تقاليد حوار الثقافات والحضارات في عصر يسميه البعض عصر الحضارة العالمية الواحدة.

في الوقت الذي تعلن فيه مصادر أميركية في واشنطن عن نجاح الحملة، التي يقودها «التحالف ضد وسائل التحريض على الإرهاب .CATM » وقيام الشركة الفرنسية تيليكوم بمنع نقل الإشارات التلفزيونية لقناة «المنار» الفضائية إلى القمر الصناعي «آسيا سات»، وتأكيد مسؤول العلاقات العامة في تلفزيون «المنار»، إبراهيم فرحات» أن القناة تنتهج سياسة إعلامية واضحة، أساسها تقديم مادة إخبارية صادقة وموضوعية حول ما يجري من أحداث في العالم، وأنها ستستمر باعتماد هذا

النهج، مع الحرص دوماً على تطوير أساليب عملها وأدواتها رغم قرار منع البث الذي وصل إلى آسيا بعد أوروبا وأميركا الشمالية».

بالإضافة لقرارات المنع بالجملة التي صدرت عن المجلس الأعلى الفرنسي للإعلام المرئي والمسموع لتشمل دول الاتحاد الأوروبي، إضافة إلى منع أمريكي وآخر استرالي طال القناة التلفزيونية المعنية.

وما كان من مدير الأخبار في المحطة، الذي فاز بمقعد نيابي في البرلمان اللبناني، حسن نصر الله، حينها إلا أن يصدر حكما مسبقا على أن الإجراءات المنفذة ضد القناة تنطلق من خلفيات وضغوط تقوم بها مؤسسات صهيونية.

ليتبادر إلى الذهن سؤال أين الديمقراطية والحرية الفكرية التي يدعوا إليها الغرب ؟!! وهو ما أجبر قناة «المنار» اللبنانية على ما أعتقد للاكتفاء ببث فضائي عبر قمري عربسات ونايلسات العربيين، وبذل جهود من أجل إتاحة أقمار صناعية أخرى للبث عليها، حيث أوضح فرحات: أن الحملة لإقصاء القناة عن الأقمار الصناعية العالمية مستمرة، ولم يعد خافياً على احد أن الحكومة الإسرائيلية واللوبي الصهيوني الموجود في الخارج، والعديد من المنظمات اليهودية، تقف خلف الحملة المعادية بشكل مباشر، ويمارسون ضغوط على الحكومات الأجنبية وعلى هيئات البث في تلك الدول وعلى شركات البث الناقلة لإشارة البث التلفزيوني للـ«المنار» عبر أقمارها الصناعية.

ويفهم من هذه التصرفات بوضوح مدى التناقض القائم مع فكرة الإسهام بتعزيز الحوار بين الثقافات والأديان والآراء المختلفة، وهو ما يفرض معه حق مطالبة الدول الأوروبية والغربية عامة باتخاذ مواقف واضحة تصون حرية التدفق الإعلامي باتجاهين ويكفل له حرية العمل ضمن القوانين المرعية، وألا تتخلى عن أهم المبادئ التي قامت عليها الشرعية الدولية، وهي حرية الفكر والرأي.

***

هل ماتت الصحافة

هـل يمكـن القـول أن الصحافـة الورقيـة قـد انتهـت؟ أو ماتـت؟ هـذه قضيـة جدليـة، تناولتهـا الكثـر مـن الأصـوات مـن داخـل المؤسسـات المهنيـة في الصحافـة، أو في وسـائل الإعـلام الأخـرى، كـما تناولهـا بعـض المسـتثمرين في ميـدان الإعـلام، إلى جانـب عـدد مـن الدراسـات مـن الحقـل الأكاديمـي. وقـد يـرى البعـض أنـه لا يتخيـل يومـا مـا في المسـتقبل أن لا تكـون هنـاك صحيفـة عـلى طاولـة الإفطـار الصباحـي، لأنهـا أصبحـت عـادة ستسـتوجب بقـاء الصحـف وعـدم تلاشـيها[1].. وقـد نـشرت مجلـة الإيكونومسـت البريطانيـة تقريـرا عـن الصحافـة تحـت عنـوان "مـن قتـل الصحافـة؟". ووصلـت المجلـة إلى نتيجـة مؤداهـا أن وضـع الصحافـة هـو مصـدر قلـق، وليـس مصـدر رعـب كـما يظـن البعـض.

وقـد أشـار التقريـر إلى أن العقـود الماضيـة قـد شـهدت انخفاضـا في توزيـع الصحـف في الولايـات المتحـدة الأمريكيـة، وأوروبـا، واسـتراليا، ونيوزيلانـدا. وقـد أسـهم الإنترنـت في تسريـع معـدلات الإنخفـاض في السـنوات الماضيـة. واستشـهدت المجلـة بكتـاب "نهايـة الصحيفـة" لفيلـب ميـر، والـذي تنبـأ أن عـام ٢٠٤٣م (أي أقـل مـن اربعـين عامـا) سيشـهد آخـر صحيفـة ورقيـة في الولايـات المتحـدة الأمريكيـة، عندمـا يقـذف بهـا أحـد القـراء جانبـا بعـد أن تكـون قـد أنهكتـه قـراءة هـذه الصحيفـة[2].

اسـتند فيليـب ميـر Meyer في تحليلـه التنبـؤ بسـقوط الصحيفـة ونهايتهـا عـلى أرقـام التوزيـع للصحـف، حيـث ذكـر أن العقـود الثلاثـة الماضيـة شـهدت تراجعـا في التوزيـع، وبشـكل منتظـم في نسـب التراجـع. ويـرى المهنيـون أن الإنترنـت هـو المسـبب وراء هـذا التراجـع، ولكـن الواقـع يشـير إلى أن الأنترنـت هـو أحـد هـذه الأسـباب، وليـس السـبب الوحيـد. وهكـذا أشـار إلى أنـه في حالـة بقـاء نسـبة الإنخفـاض عـلى مـا هـي عليـه، فمـن المتوقـع أن تسـقط الصحيفـة في العـام ٢٠٤٣م. وعـلى الرغـم مـن هـذا التوقـع التشـاؤمي، الا أن ميـر يـرى أن هنـاك فرصـة مواتيـة أمـام الصحـف لإنقـاذ ذاتهـا، اذا اعتمـدت النمـوذج الإقتصـادي الـذي يقترحـه في كتابـه، والـذي يعتمـد عـلى وظيفـة المسـئولية

1 Braid, Florangel, “The Future of Newspaper Industry”, Manila Bulletin, September 9, 2006.

2 The Economist, “The Future of Newspapers: WhoKkilled the Newspaper?”, Augest 24, 2006.

الاجتماعيـة للصحافـة التـي يجـب أن تكـون هـي المنتـج الأسـاسي للصحافـة وليـس الأخبـار أو المعلومـات. أي أن نمـوذج التأثـير أو النفـوذ هـو الـذي يجـب ان تسـوق لـه الصحـف، وليـس النمـوذج التجـاري. حيث كشـف ميـر عـن علاقـة ايجابيـة بـين التميـز الصحـافي وبـين النجـاح التجـاري، وهـذا مـا قـاده إلى بنـاء نموذجـه الـذي يحـاول أن ينقـذ بـه واقـع الصحافـة في الولايـات المتحـدة[3].

وفي دراسـة مسـحية شـاملة عـلى عـدد كبـير مـن الصحافيـين في دول العـالم قـام بهـا منتـدى المحررين العالمـي World Editors' Forum بالتعـاون مـع معهـد زغبـي لاسـتطلاعات الـرأي العـام، عـبرت الأغلبيـة الكبـيرة مـن المحرريـن (٨٥٪) عـن تفائلهـم الكبـير أو تفائلهـم المتوسـط بمسـتقبل الصحافـة في العـالم، ولكـن نسـبة محـدودة منهـم رأت (٣٥٪) أن الصحافـة الورقيـة سـتظل هـي المصـدر الأسـاسي للأخبـار، عـلى ألأقـل خـلال السـنوات العـشر القادمـة[4].

وتوقـع الملياردير العالمـي روبـرت مـوردوك أن كثـيرا مـن الصحـف الحاليـة في المملكـة المتحـدة سـتلاشى في القريـب العاجـل، ولـن يتحمـل سـوق الصحـف أكـثر مـن صحيفـة واحـدة في كل سـوق صحافيـة. وقـد أشـارت أمنـدا بلاتـل Platell إلى أن الأرقـام والإحصائيـات عـن الصحافـة البريطانيـة تدعـم هـذا التنبـؤ مـن قبـل مـوردوك[5]. وقـد انخفضـت أرقـام التوزيـع للصحـف البريطانيـة منـذ عـام ١٩٩٥م إلى أكـثر مـن ١٠٪ حتـى عـام ٢٠٠٥م. وقـد رضخـت ثـلاث صحـف تقليديـة كـبرى في لنـدن الى أن تعتمـد مقاسـات أصغـر لصحفهـا، تنافسـا مـع باقـي الصحـف الأخـرى التـي اعتمـدت مقيـاس أقـرب إلى مقاييـس صحـف التابلويـد النصفيـة، كـما أضطـرت هـذه الصحـف إلى أن تعيـد النظـر في تبويباتهـا الصحافيـة لتواكـب احتياجـات سـوق الجمهـور مـن القـراء[6].

---

3 Meyer, Philip, The Vanishing Newspaper: saving Journalism in the Information age, University of Missouri Press, 2004.

4 Cole, Peter, “Fortune favours the brave and the compact revolutionaries”, The Independent, May 12, 2007

5 Platell, Amanda, “ Did Rupert Murdoch Get It Wrong? Will the Guardian Outlast All the Other Broadsheet Newspapers?., New Statesman, 130:4568, December, 17, 2001, p. 37

6 Selers, Francis, “Embracing Change: British Dailies Are Trying a Variety of New Approaches in an Effort to Survive and Thrive in a New Media Landscape. Are There Lessons Here for U.S. Papers?, American Journalism Review:28:5, October- November, 2006, p. 54

تشـير عـدد مـن الدراسـات إلى أن الصحافيـين أنفسـهم يعتقـدون أن الصحافـة سـتكون أقـل أهميـة في الحيـاة العامـة في السـنوات القادمـة. حيـث أبـان شـولتز وفواكـسTanjev Schultz , Paul S. Voakes [٧] ٥٥٪ مـن عينـة الدراسـة مـن الصحافيـين أشـارت إلى أن الصحافـة سـتكون أقـل أهميـة في الحيـاة العامـة الأمريكيـة خـلال العـشر سـنوات القادمـة، وقـد رأى ٤٪ فقـط أن الصحافـة سـتكون أكـثر أهميـة مـن الوضـع الحـالي، وحـوالي ٤٠٪ يـرون نفـس الأهميـة دون تغيـير. وفيـما يبـدو أن هـذا الاتجـاه لأصحـاب المهنيـة هـو في تنامـي مسـتمر، حيـث أشـارت دراسـة سـابقة قبـل سـنوات مـن هـذه الدراسـة إلى أن نسـبة مـن يـرى أهميـة أقـل كانـت حـوالي ثلاثـين في المائـة، مـما يعكـس هـذه النزعـة التشـاؤمية المتناميـة عـن مهنـة الصحافـة.

تمثـل الصحافـة في الولايـات المتحـدة الأمريكيـة أفضـل صحافـة متقدمـة في العـالم مـن الجوانـب الفنيـة والتحريريـة لمـا يمثلـه السـوق الإعلامـي مـن دعـم إعـلاني، ومـا يمثلـه الحـدث الـدولي مـن تأثـير بحكـم ارتباطـات واشـنطن بكثـير مـن الأحـداث الدوليـة، ومـا ينعكـس عـلى اهتمامـات هـذه الصحـف. وتوجـد حاليـا في الولايـات المتحـدة ١٤٥٣ صحيفـة يوميـة، بمجمـوع يصـل إلى حـوالي واحـد وخمسـين مليـون شـخص يشـتري إحـدى الصحـف اليوميـة في الولايـات المتحـدة، ويوجـد أكـثر مـن مائـة وأربعـة وعـشرون مليـون شـخص يقـرأ إحـدى الصحـف اليوميـة، أي أن الصحيفـة الواحـدة يقرأهـا أكـثر مـن شـخص. وقـد أوضـح تقريـر سـنوي عـن حالـة الصحافـة الأمريكيـة للعـام ٢٠٠٦م، إلى أن جميـع المـؤشرات عـن نمـو الصحافـة هـي مـؤشرات سـلبية[٨]:

- انخفضت أرقام التوزيع للصحف اليومية بنسبة حوالي ٣٪ مقارنة بالعام الذي سبقه.
- انخفـاض في الدخـل الإعـلاني للصحـف، دون بـروز أي ايجابيـات تشـير إلى امكانيـة التحـرك إلى تنميـة مثـل هـذا الدخـل الأسـاسي للصحـف.ط
-

7 Schultz , Tanjev and Paul S. Voakes, "Prophets of Gloom: Why Do Newspaper Journalists Have So Little Faith in the Future of Newspapers? ", Newspaper Research Journal: 20:2, 1999, p. 23

8 The State of the News Media 2007: An Annual Report on American Journlaism, www.journlaism.org

- انخفـاض في أسـعار أسـهم الـشركات الإعلاميـة في سـوق المـال الأمريكيـة حيـث وصـل الإنخفـاض إلى حـوالي ١٤٪ عـام ٢٠٠٦م، بينـما كان الانخفـاض ٢٠٪ في العـام الـذي سـبقه ٢٠٠٥م.

- انعكســت الحالــة الاقتصاديــة للصحافــة عــلى التحريــر، حيــث اتجهــات بعــض كــبرى الصحــف الأمريكيــة إلى ترشـيد نشـاطاتها التحريريـة، بإغـلاق مكاتـب لهـذه الصحـف في بعـض دول العـالم، وبـدأ التركيــز عــلى الأعــمال والأنشــطة المحليــة.

***

التوجهات في المضامين التحريرية

بـات مـن الملاحـظ في التوجهـات الحديثـة وجـود قصـص إخباريـة مطولـة، بـدلا مـن التوجـه نحـو القصـص القصـيرة، وخاصـة في الموضوعـات الهامـة. كـما هنـاك اتجـاه الى تطويـر القصـص الهامـة الى تقاريـر معمقـة عـن هـذه الموضوعـات، حيـث أثبتـت الدراسـات التسـويقية رغبـة القـراء في متابعـة القصـص الهامـة بشـكل مطـول وعميـق بعـد أن يكـون القـارىء قـد اطلـع عـلى عـالم متغـير وسريـع مـن الأحـداث في التلفزيـون والإذاعـة، وبقرائتـه للصحيفـة يكـون قـد خصـص وقتـا كافيـا لمتابعـة بعـض الأحـداث الهامـة، التـي يكـون قـد علـم عنهـا مـن مصـارد اخـرى. وقـد أشـار عـدد مـن رؤسـاء تحريـر صحـف أمريكيـة الى أن ارقـام التوزيـع تـزداد كلـما كانـت هنـاك قصـص اخباريـة تسـتحق القـراءة، وذات طابـع انسـاني، وتكـون شـيقة ومكتوبـة بلغـة جاذبـة (Hoenisch, ١٩٩١).

زيـادة المقـالات التحليليـة للأحـداث الرئيسـة، وبينـما تقـدم الإذاعـة والتلفزيـون الأحـداث العاجلـة عـلى شـكل وقائـع متفرقـة، فـان دور الصحيفـة هـو تقديـم هـذه الأحـداث في صـورة كاملـة وفي إطـار أعـم.

هنـاك توجـه الى لتوظيـف قالـب الروايـة (قالـب الهـرم المقلـوب)، بـدلا مـن القالـب التقليـدي في صياغـة الأخبـار والموضوعـات، وخاصـة ذات الطابـع المسـلي والترفيهـي. وهـذا القالـب الـروائي يغـير مـن رتابـة الأخبـار والعـروض التحليلـة، ويتيـح فرصـة أكـبر لإدخـال اللمسـة الإنسـانية للمحـرر عنـد الكتابـة في مثـل هـذه الموضوعـات.

تنامـي التركيـز عـلى القصـص الخفيفـة، وتقليـص الإهتمامـات بالقصـص الجـادة، كالحروب والسياسـة وغيرهـا. وذلـك نتيجـة معرفـة هـذه الصحـف برغبـات القـراء واهتماماتهـم بمثـل هـذه المضوعـات والقضايـا غـير الجـادة مثـل الحيـاة والمجتمـع والرياضـة والفـن والقصـص الإنسـانية والترفيـه والتسـلية، اكـثر مـن اهتماماتهـم بالقضايـا والموضوعـات الجـادة.

تتوجـه الصحافـة الحديثـة الى طبعـات المناطـق، بمـا تشـمله مـن أخبـار محليـة ومضوعـات ذات طابـع مناطقـي، وكذلـك تحمـل هـذه الطبعـات أعلانـات محليـة تهـم شرائـح القـراء في تلـك المناطـق.

تتوجـه بعـض الصحـف في إطـار اهتمامـه بالإعـلان الى منـح مسـاحات معينـة للإعـلان عـلى الصفحـة الأولى، ولاشـك أن حاجـة الصحـف الى زيـادة ايراداتهـا سـيجعل مـن الخـط الـذي يفصـل بـين التحريـري والإعـلاني خطـا غـير واضـح، وربمـا يتـلاشى كلـما زادت حاجـة تلـك الصحـف الى زيـادة ايراداتهـا الإعلانيـة. ويجـب ملاحظـة أن نسـبة عاليـة مـن الصحـف الجـادة لا تـزال تمنـع ظهـور الإعـلان في صفحتهـا الأولى، حيـث تـرى بأنهـا مقدسـة ولا يمكـن تعريضهـا لسـطوة الإعـلان.

تتوجـه الصحافـة الحديثـة الى التخصـص اكـثر مـن العموميـات، ولهـذا تصـدر ملاحـق منتظمـة عـن موضوعـات متخصصـة، مثـل الكمبيوتـر، التكنولوجيـا، البيئـة، العلـوم. وتتـوزع هـذه الملاحـق بـين ملاحـق يوميـة، الى اسـبوعية،وبعضها ملاحـق شـهرية.

هنـاك توجهـات ،لإندمـاج بـين الوسـائل الإعلاميـة، بـين الصحـف والتلفـزة بشـكل خـاص، ويتـم توظيـف غـرف أخبـار مشـتركة لخدمـة الوسـيليتين، كـما هـي الحالـة في كثـير مـن شركات الإعـلام الكـبرى في الولايـات المتحـدة واوروبـا ، كـما هـي الحـال كذلـك في المنطقـة العربيـة بـين كل مـن صحيفـة الحيـاة ومحطـة LBC التلفزيونيـة اللبنانيـة.

وأشـارت عـدد مـن الدراسـات الى وجـود علاقـة غـير حميمـة بـين الشـباب والصحافـة، فقـد أشـارت كاثي كوبولجـران (Cobb-walgren, 1990) الى أن دراسـات جمهـور الشـباب مـن غـير قـراء الصحـف تشـير الى بعـض النتائـج المهمـة التـي تعكـس رفـض وتذمـر مـن الصحافـة التقليديـة. وفي دراسـة عـلى طـلاب الجامعـات الأمريكيـة، اتضـح أن:

- الصحافة لا تأخذ في الاعتبار رغبات وتوجهات شرائح الشباب في المجتمع.
- معظم الشباب يرى أن الصحافة لا تقدم مقالات تتناول اهتماماتهم.
-
-

- معظم الشباب يتمنون أن تتحول الصحف الى أشكال قريبة من المجلات في حجمها والوانها.

- معظم الشباب يرون أن الصحف هي موضة بدأ يتقادم بها الزمن.

- وذكـر سـتيف هوينـش (Hoenisch, 1991) أن توجهـات الشـباب الى الإنسـحاب قـراءة الصحـف، وهنـاك مفاهيـم معينـة بـدأت تتركـز في أذهـان الشـباب في المـدارس والجامعـات، وهـي انـه لم يعـد هنـاك أحـد يقـرأ الصحـف، وليـس لديهـم الوقـت لقراءتهـا، وتوجـد بدائـل مثـل التلفزيـون لمعرفـة مـا يـدور في دوائـر اهتـمام هـولاء القـراء. وفي هـذا الخصـوص، أشـارت الباحثـة كاثي كوبولجـران (Cobb-walgren, 1990) الى أن الشـباب في عمـر المراهقـة تطـورت معهـم لا مبـالاة عاليـة تجـاه الصحـف بشـكل خـاص، وعـزت ذلـك الى العوامـل التاليـة:

- مسـتوى الأمية،عـدم توافـر الوقـت الـكافي لأداء هـذه المهمـة. وقـد أشـارت دراسـات أمريكيـة الى تـردي الإهتـمام بالقـراءة في المـدارس والجامعـات، وهـذا مـا يتطلـب أن تتشـكل قوالـب جديـدة لجـذب القـراء الى الصحـف، بمضامـين وأشـكال حديثـة، كأن تكـون القصـص الإخباريـة قصـيرة، وسـهلة القـراءة، وتكـون مصحوبـة بصـور وجرافيكـس، وتعتمـد عـلى الألـوان.

- التنافـس الكبـير مـن التلفزيـون.. وعندمـا يكـون اتجـاه النـاس الى الإعـلام المـرئي، فـإن هـذا مـن شـأنه فقـدان الصحافـة لجمهورهـا، مـما يـؤدي الى انسـحاب المعلنـين مـن الإعـلان في الصحافـة، وبالتـالي إفـلاس الصحافـة وعـدم اسـتمراريتها.

- تبـدل أنمـاط الحيـاة في المجتمـع الحديـث، وتنـوع النشـاطات في اوقـات الفـراغ لـدى الشـباب، حيـث تتسـم هـذه الفـترة بتدفـق هائـل في المعلومـات ونـدرة في الوقـت «too much information, and.. not enough time..».

- تقاليـد الطقـوس مـن القـراءة المنزليـة في عطلـة نهايـة الإسـبوع.. وقـد أشـارت اسـتطلاعات هاريـس عـن العـادات الإجتماعيـة في المجتمـع الأمريـكي الى انخفـاض

معدل ساعات الفراغ لدى الفرد الأمريكي من حوالي ٢٦ ساعة الى ١٦ ساعة بين عامي ١٩٧٢ و١٩٨٧م، مما يعني تقلص فرصة الوقت المتاح لقراءة الصحف.

- الصورة الذهنية عن الصحافة في الأوساط الشبابية.. وتشير عدد من الدراسات الى تنامي السلبية التي يحملها قراء الصحف عن صحفهم..

ونتيجة لهذه التوجهات، فقد تحركة صناعة الصحافة في الولايات المتحدة – على سبيل المثال – لتنحو في إتجاه تحولي يعكس طبيعة الجمهور ونفسيته، وظروفه الإجتماعية المختلفة.. وكانت صحيفة يو إس أي تودي USA Today قد أخذت هذا المنحى عند صدورها عام ١٩٨٢م. وقد بنت دراساتها التسويقية على معرفة اتجاهات الجمهور، واستشراف مستقبل الصحافة المطبوعة في العالم.

***

الأرقام العالمية في توزيع الصحف

اشـارت أرقـام التوزيـع خـلال العقـد الأخـير مـن القـرن العشريـن والسـنوات الأولى مـن القـرن الحـادي والعشريـن الى أن كثـيرا مـن الصحـف في العـالم قـد انخفضـت ارقـام توزيعهـا. وأشـارت دراسـات الى انخفـاض توزيـع الصحـف في اوروبـا بنسـبة ١٢٪ خـلال الفـترة مـن ١٩٩٥م الى ٢٠٠٤م، وكان الانخفـاض في الولايـات المتحـدة وكنـدا يـتراوح بـين ٦-٧٪، أمـا في الأسـواق الآسـيوية فلـم تشـهد أي انخفـاض، ولكـن بعـض الدراسـات اشـارت الى تنامـي توزيـع الصحـف في تلـك المناطـق [9] .

وتشـير إحصائيـات الجمعيـة الدوليـة للصحافـة [10] World Association Newspapers إلى أن في هـذا العـالم حـوالي ٤٣٩ مليـون يشـترون صحيفـة مـن الصحـف اليوميـة يوميـا، امـا عـلى مسـتوى عـدد قـراء الصحـف في العـالم فتزيـد نسـبة القـراء عـن مليـار قـارىء، بحكـم أن النسـخة الواحـدة يقرأهـا أكـثر مـن شـخص واحـد. كـما تشـير هـذه الإحصائيـات إلى أن أكـبر أكـبر أسـواق للصحـف في العـالم تتواجـد في القـارة الآسـيوية، يتصـدر الصـين قمـة هـذا الهـرم العالمـي. ويوضـح الجـدول ( ) هـذه الأرقـام:

أكبر خمسة أسواق في توزيع الصحافة في العالم*

م	الأسواق	أجمالي أرقام التوزيع بالمليون
١	الصين	٩٦,٦
٢	الهند	٧٨,٧
٣	اليابان	٦٩,٧
٤	الولايات المتحدة	٥٣,٣
٥	ألمانيا	٢١,٥

* عام ٢٠٠٥م

9 Trends in Newsrooms 2006, p 39

10 World Association Newspapers, www.wan-press.org, June, 2006.

وتشير احصائيات عن أكبر مائة صحيفة في العالم بحسب أرقام التوزيع إلى أن أعلى خمس صحف في العالم هي صحف يابانية، حيث تحتل هذه الصحف المراتب الخمس الأولى في ارقام التوزيع، كما سبع من العشر الصحف الأكثر توزيعا في العالم هي صحف يابانية. وقد تصدرت صحيفة يوريموري اليابانية صحف العالم في أرقام توزيعها، حيث وصلت النسخ المطبوعة يوميا من هذه الصحيفة أكثر من اربعة عشر مليون نسخة، وتلتها صحيفة أساهي اليابانية. كما أن تسعة من العشر صحف الأولى توزيعيا هي صحف من آسيا، وقد دخلت صحيفة بليد الألمانية من بين العشر الأولى يتوزيع يومي يقدر ٣,٩ مليون نسخة. وقد احتلت صحيفة الصن البريطانية المرتبة الحادية عشر، بينما احتلت صحيفة يو إس أي تودي المرتبة الثالثة عشر من أعلى الصحف توزيعا في العالم. ودخلت صحف أخرى إلى قائمة أكبر مائة صحيفة، حيث جاءت صحيفة داينيك جاجران الهندية في المرتبة العشرين، وصحيفة كورنن زيتنج النمساوية في المرتبة الخامسة والأربعين، وصحيفة كومويومولوسكيا برافدا الروسية في المرتبة الثالثة والستين، وصحيفة وست فرانس الفرنسية في المرتبة السابعة والستين، وصحيفة جانج الباكستانية في المرتبة التاسعة والستين، وصحيفة كورير ديلا سيلا الإيطالية في المرتبة الرابعة والثامنين. ولم تظهر بين قائمة أكبر صحف العالم توزيعا من الصحف العربية الا صحيفة الأهرام، حيث احتلت المرتبة السابعة والخمسين، وتوزيع يومي يقدر بحوالي ٩٠٠ ألف نسخة.

م	الصحيفة باللغة العربية	الصحيفة باللغة الانجليزية	الدولة	التوزيع
١	يومبيوري	Yomiuri Shimbun	اليابان	١٤,٠٦٧
٢	أساهي	The Asahi Shimbun	اليابان	١٢,١٢١
٣	ما إتنتشي	Mainichi Shimbun	اليابان	٥,٥٨٧
٤	نيهون كيزاي	Nihon Keizai Shimbun	اليابان	٤,٦٣٥
٥	تشونتشي	Chunichi Shimbun	اليابان	٤,٥١٢
٦	بلد	Bild	المانيا	٣,٨٦٧
٧	سانكي	Sankei Shimbun	اليابان	٢,٧٥٧
٨	كاناكو زيوكس	Canako Xiaoxi (Beijing)	الصين	٢,٦٢٧
٩	بيبل	People's Daily	الصين	٢,٥٠٩
١٠	طوكيو سبورت	Tokyo Sports	اليابان	٢,٤٢٥
١١	الصن	The Sun	المملكة المتحدة	٢,٤١٩
١٢	تشوزن إبو	The Chosun Ilbo	كوريا الجنوبية	٢,٣٧٨
١٣	يو إس أي تودي	USA Today	الولايات المتحدة الامريكية	٢,٣١٠
١٤	وول ستريت جورنال	The Wall Street Journal	الولايات المتحدة الامريكية	٢,١٠٧
١٥	الديلي ميل	Daily Mail	المملكة المتحدة	٢,٠٩٣
١٦	جونجاج إبو	The Joongang Ilbo	كوريا الجنوبية	٢,٠٨٤
١٧	دونجا إبو	The Dong-A Ilbo	كوريا الجنوبية	٢,٠٥٢
١٨	نكان سبورتس	Nikkan Sports	اليابان	١,٩٦٥
١٩	هوكايدو	Hokkaido Shimbun	اليابان	١,٩٢٢
٢٠	داينك ججران	Dainik Jagran	الهند	١,٩١١

* عام ٢٠٠٥م

أما على صعيد الولايات المتحدة، وهي التي تنتج أهم صحف العالم من ناحية التأثير، ومن ناحية الأداء المهني، فمنذ بداية الأربعينيات والي السبعينيات الميلادية من القرن العشرين استمرت أرقام توزيع الصحف في تنامى نتيجة مباشرة للنمو السكاني في الولايات المتحدة الأمريكية، ولكن بمقارنة خلال الخمسين عام الماضية، تشير الإحصائيات إلى أن عدد السكان في الولايات المتحدة قد ارتفع خلال هذه الفترة بزيادة تقدر بثمانين مليون نسمة، ولكن بعد خمسين عام عادت أرقام التوزيع - بعد نمو خلال العقود الماضية - إلى نفس أرقام توزيع الصحف قبل خمسين عاما. وهذا يشير إلى أن النمو في عدد السكان لم يواكبه نمو في أرقام توزيع الصحف كما هو متوقع. وقد وصلت أعلى نسبة من توزيع الصحف اليومية في الولايات المتحدة ذروتها عام ١٩٨٤م[11] بالوصول إلى حوالي ٦٤ مليون نسخة يوميا، ولكن منذ ذلك التاريخ بدأ العد التنازلي في الإنخفاض إلى أن وصل إلى حوالي الخمسين مليونا خلال فترة السنوات الماضية.

ويبين الجدول أكثر عشرين صحيفة أمريكية توزيعا، حيث احتلت صحيفة يو إس أي تودي المرتبة الأولى بين الصحف الأمريكية بحوالي مليونين وخمسمائة ألف نسخة يوميا. تلتها الصحيفة الإقتصادية الأولى في العالم وول ستريت جورنال، ثم صحيفة النيويورك تايمز ولوس أنجلس تايمز وواشنطن بوست. ويلاحظ في الجدول أربع صحف فقط في الولايات المتحدة الأمريكية هي التي توزع أكثر من مليون نسخة يوميا. كما تشير أحصائيات أخرى أن الصحيفة رقم مائة في قائمة الصحف الأمريكية - صحيفة سبوكسمان ريفيو (من ولاية واشنطن) توزع ١٢٠ ألف نسخة يوميا.

11 Morton, John, "Spreading the News: As Circulation Dwindles, Newspaers Turn to New Products to Court Readers", American Journlaism Review:27:4, Augest-September 2005.

التوزيع	الصحيفة باللغة الانجليزية	الصحيفة باللغة العربية	م
٢,٢٨١,٨٣١	USA Today	يو اس ايه تودي	١
٢,٠٧٠,٤٩٨	Wall Street	وول ستريت	٢
١,١٢١,٦٢٣	New York Times	نيويورك تايمز	٣
٩٠٧,٩٩٧	Los Angeles Times	لوس انجليس تايمز	٤
٧٤٠,٩٤٧	Washington Pos	واشنطن بوست	٥
٧٠٨,٧٧٣	The New York Daily news	نيويورك ديلي نيوز	٦
٦٤٣,٠٨٦	New York Post	نيويورك بوست	٧
٥٦٥,٦٧٩	Chicago Tribune	شيكاغو تريبون	٨
٥٢٧,٧٤٤	Houston Chronicle	هيوستن كرونكل	٩
٤٧٧,٤٩٣	Dallas Morning News	دلاس مورنيخ نيوز	١٠
٤٦٨,٧٣٩	San Francisco Chronicle	سان فرانسيسكو كرونيكل	١١
٤٥٩,٣٠٥	Melville Newsday	نيوز دي	١٢
٤٥٢,٠١٦	The Arizona Republic	اريزونا ربيلك	١٣
٤٣٢,٢٣٠	Chicago Sun-Times	شيكاغو صن تايمز	١٤
٤٢٩,٥٥٢	The Boston Globe	بوسطن جلوب	١٥
٣٩٦,٨٨٨	The Atlanta Journal-Constitution	أتلانتا جورنال كونستشيوشن	١٦
٣٨٢,٠٥٥	-The Star-Ledger	ستار ليدجر	١٧
٣٧٨,٣١٦	Minneapolis Star Tribune	مينابوس ستار تربيون	١٨
٣٧٠,٨٧٥	Detroit Free Press1	دترويت فري برس	١٩
٣٦٤,٩٧٤	Philadelphia Inquirer	فلادلفيا انكوايرر	٢٠

* عام ٢٠٠٦م

ومن الملاحظ أنه على الرغم من الإنخفاض في أرقام توزيع الصحف الأمريكية خلال عقد في نهاية الثمانينيات والتسعينيات الميلادية الإ أن هذه الصحف والمجلات لم تتمكن من استقطاب أي شرائح جديدة، وخاصة الشرائح من الجيل الجديد من القراء، ولم تستطع أن تولد لديه ما يمكن وصفه بـ "عادة القراءة"، ويضاف الى هذا السبب أن المهاجرين الجدد وبعض أفراد الطبقة الوسطى لم تصل الصحف الى النجاح في استقطابهم.. رغم محاولات بعض الصحف في استقطاب الأمريكيين من ذوي الأصول الإسبانية على سبيل المثال. ومما يفاقم هذه المشكلة هو أن نسبة من القراء الجدد من الشرائح الشبابية توقفوا عن قراءة الصحف اليومية. وعلى الرغم من هذا الإنخفاض في أرقام توزيع الصحف، الا أن إيرادات الصحف لا تزال متنامية خلال هذه الفترة الى بداية العقد الأول من القرن الحادي والعشرين، وخاصة في الصحف الوطنية والإقليمية الكبرى[١٢].

12 The state of news media: An annual report on American journalism, Journalism. Org.

وفي إطار الأعداد الإجمالية لأعداد الصحف اليومية، شهدت العقود الماضية تناقصا مستمرا، الى أن وصلت في الوقت الراهن الى ١٤٥٣ صحيفة يومية، حيث اختفت بعض هذه الصحف، او اندمجت بعضها في صحف أخرى أكبر. وقد كانت أعداد الصحف اليومية ١٧٧٢ صحيفة في عام ١٩٥٠م، ومنذ ذلك التاريخ بدأ تقلص أعداد الصحف تدرجيا إلى ١٧٤٨ صحيفة عام ١٩٧٠م، ثم وصلت عام ١٩٩٠م إلى ١٦١١ صحيفة، وفي عام ٢٠٠٠م وصلت إلى ١٤٨٠ صحيفة، وأخيرا في عام ٢٠٠٤م وصلت إلى صحيفة ١٤٥٧. ولا شك أن هذا النقص في أعداد الصحف جء على حساب الصحف المسائية، حيث انخفضت أعدادها من ١٤٥٠ صحيفة مسائية عام ١٩٥٠م إلى أن أصبحت ٦٥٣ صحيفة مسائية عام ٢٠٠٤م، أي بنسبة انخفاض تقدر بحوالي ٥٥٪ن وفي المقابل فقد ارتفعت أعداد الصحف الصباحية خلال نفس الفترة إلى ٢٥٠٪، أي أن الاتجاه هو نحو الصحف الصباحية في الصحافة الأمريكية[١٣].

وتشير الإحصائيات إلى أن الإيرادات التي تجنيها الصحف من المبيعات اليومية تصل إلى حوالي ٢٠٪ فقط من مجمل الدخل العام للصحف، ونتيجة لأنخفاض هذه الإيرادات خلال السنوات الماضية، قامت بعض الصحف بزيادة سعر صحفها لتغطية هذا الإنخفاض. وعلى الرغم من ذلك فلم تستطع الصحف أن تغطي الإنخفاض بزيادة سعر نسخ الصحيفة، حيث وصلت النسبة العامة لإنخفاض دخل المبيعات التوزيعية عام ٢٠٠٦م إلى حوالي ٣٪.

وفي المملكة المتحدة، تصل أعداد الصحف هناك عن ١٦٠٠ صحيفة وطنية واقليمية، حيث تصل الوطنية إلى ٢١ صحيفة ومية و ٨٩ صحيفة يومية اقليمية و ١٥٠٠ صحيفة محلية اسبوعية وتبيع هذه الصحف ما يزيد عن ٢٠٠ مليون نسخة أسبوعيا. واذا قورنت أعداد الصحف المطبوعة في بريطانيا مع نظيراتها في دولة أوروبية مثل فرنسا، نجد أن القراء البريطانيين هم حوالي ثلاثة أضعاف القراء الفرنسيين. ويمكن تقسيم الصحف البريطانية إلى قسمين حسب توجهاتها التحريرية،

13 Newspapers Association of America, www.naa.org

حيث توجد الصحف النوعية الجادة وصحف الإثارة والإغراء، والتي تسمى صحف التابلويد [14] . وبينما تأتي الصحف الجادة في شكل صحف كاملة broadsheet تأتي صحف الإثارة في شكل التابلويد tabloid واستمرت هذه الظاهرة إلى السنوات الأخيرة، حيث اتجهت كثير من الصحف الجادة إلى تصغير مقاساته، لتصل إلى مقاس وسطي بين الصحيفة الكاملة والصحيفية النصفية. ودخلت صحف كبيرة وذات تاريخ طويل في الصحافة البريطانية في نظام المقاسات الصغيرة، كما تحولت تبوياتها التحريرية لتواكب الاتجاهات التي سيطرت على الصحافة العالمية في تبويات متجهة إلى السوق الشعبية، والاهتمامات الجماهيرية العامة.

ومن الإختلافات الظاهرة بين الصحافة الأمريكية والصحافة البريطانية، أن البريطانية لها تقاليدها، ومن تلك أن الطبقات الاجتماعية في المجتمع البريطاني تشكل أسواقا مؤثرة على سوق الصحافة، حيث من المعروف أن صحيفة التايمز هي صحيفة نخبوية، وأن صحيفة الصن هي صحيفة تتوجه للطبقة العاملة. وفي المقابل فإن هذه الظاهرة الطبقية ليست مؤثرة على تقسيمات اسوق الصحف في الولايات المتحدة[15]. وعلى الرغم من ذلك فقد خشي كثير من النقاد من ظاهرة موردوك في أن تؤثر طبقيا على المجتمع الأمريكي بعد دخوله في عدد من المشروعات الإعلامية، حيث وصفه بعض النقاد بأنه خطر على المجتمع الأمريكي[16]. كما أن هناك اختلافا آخر بين الصحافتين البريطانية والأمريكية فيما يتعلق بطريقة التمويل الناجحة، حيث من المعروف أن الصحافة البريطانية تعتمد كثيرا على حجم مبيعاتها في السوق، بينما تعتمد الصحافة الأمريكية على بشكل أساسي على ما يصلها من ايرادات عبر بوابة الإعلان[17].

14 Niblock, Sarah, Inside Journalism, Blueprint: London, 1996.

15 Pasadeos, Yorgo and Paula Renfro, “An Appraisal of Murdoch and the U.S. Daily Press”, Newspaper Research Journal: 19: 1-2, 1997. p.33

16 Kirkland, Richard and Gwen Kinkead, “Rupert Murdock’s Motley Empire“, Fortune, February 20, 1984, p. 242.

17 Pasadeos, مرجع سابق

ويمكـن التأكيـد هنـا عـلى أن أحـد الاختلافـات الأخـرى بـين المدرسـتين الأمريكيـة والأوروبيـة وخاصـة البريطانيـة تكمـن في شـكل الصحيفـة، حيـث تلعـب صحـف التابلويـد دورا مهـما في الصحافـة الأوروبيـة، وهــي ليســت ميــزات في الصحافــة الأمريكيــة أو الكنديــة. فبينــما يوجــد عــدد محــدود مــن صحــف التابلويـد في الصحافـة الأمريكيـة مثـل ناشـونال إنكويـرر National Inquirer وصحيفـة جلـوب Globe وصحيفـة ويـكلي ورلـد نيـوز The Weekly World News ولا تؤخـذ مثـل هـذه الصحـف عـلى محمـل الجـد لـدى القـارئ في أمريـكا الشـمالية[18]. وفي المقابـل فـإن صحـف التابلويـد في أوروبـا تمثـل محـور ارتـكاز مهـم لـدى الـرأي العـام، وهـي تحظـى بثقتـه في المتابعـة والمصداقيـة.

منــذ أن دخــل الملياديــر الأســترالي الأصــل روبــرت مــوردوك الســاحة الإعلاميــة في بريطانيــا وفي الولايـات المتحـدة في السـبعينيات الميلاديـة مـن القـرن العشريـن، جـاء بمنهجيـة جديـدة تعتمـد عـلى الإثـارة والإغـراء في مضامـين وسـائل الإعـلام. وقـد ذكـرت مجلـة نيشـن Nation أن الأدوات السـحرية التــي يمتلكهــا مــوردوك تتمثــل في رباعيــة S ، وهــي العناويــن المخيفــة scare headlines الجنــس sex والفضائـح scandal والإثـارة sensation [19]. ومـن أشـهر صفقـات الإثـارة لمـوردوك شرائـه لصحيفـة الصـن البريطانيــة Sun عــام ١٩٧٠م، وكانــت صحيفــة في شــكل الصحــف الجــادة، وكانــت توشــك أن تفلــس، وحولهـا إلى صحيفـة تابلويـد، وأضـاف اليهـا الصفحـة الشـهيرة رقـم (٣) والتـي هـي عبـارة عـن صـورة عاريـة لإحـدى جميـلات الإغـراء، وبفعـل ذلـك اسـتطاع أن يقفـز بهـذه الصحيفـة مـن توزيـع بالـكاد كان يصـل إلى حـوالي ٧٠٠ ألـف نسـخة إلى أكـثر مـن أربعـة ملايـين نسـخة يوميـا في كثـير مـن الفـترات خـلال السـنوات الماضيـة .

***

18 Osterer, Irv, “The Tabloids! It must be True.. We Saw It In”, Arts & Activities: 140:2, October 2006.

19 Press Lord of Mass Ignorance, The Nation, May 24, 1980, p. 617.

الصحافة المجانية

مـن الملاحـظ أن الصحافـة المجانيـة – التـي تـوزع مجانـا – قـد أخـذت اهتمامـا كبـيرا في السـوق الأوربيـة والأسـواق الآسـيوية، عـلى عكـس الحـال في الأسـواق الأمريكيـة، حيـث لم تصـل الى درجـة الاهتمام الشـعبي، او الجاذبيـة المؤسسـية. ويعـد أحـد الأسـباب التـي هيـأت المنـاخ الي تنامـي شـعبية الصحـف والمجـلات المجانيـة هـو حركـة النـاس عـبر وسـائط النقـل العـام في كـبرى المـدن الأوروبيـة والآسـيوية، بينـما معظـم النـاس في المجتمـع الأمريـكي يعتمـدون عـلى وسـائط النقـل الشـخصية، وهـذا مـا أدى الى قلـة اهتـمام النـاس بمثـل هـذه الصحـف في معظـم المـدن الأمريكيـة.[٢٠]

مـن الإتجاهـات الحديثـة في الصحافـة الدوليـة انتشـار مـا يعـرف بالصحافـة المجانيـة free press في اوروبـا بشـكل خـاص خـلال العـشر سـنوات الماضيـة. ومـن المؤكـد أن هـذه الظاهـرة لا تسـترعي انتبـاه الناشريـن التقليديـين الذيـن يعترضـون عـلى وجـود صحـف مجانيـة تـضرب الصحـف المدفوعـة التـي يمتلكونهـا. وقـد لخـض أحـد الناشريـن لصحيفـة Bild Zeitung بالقـول بـأن اليـوم الـذي لا توجـد فيـه صحـف مجانيـة هـو يـوم جيـد. ولكـن الواقـع يشـير الى أن حـوالي نصـف هـذه الصحـف المجانيـة تمتلكـه مؤسسـات تصـدر صحفـا مدفوعـة القيمـة. والحقيقـة الأخـرى هـي أن الصحـف المجانيـة هـي في تنامـي مسـتمر. فبينـما كانـت أعـداد الصحـف المجانيـة عـام ٢٠٠٠م اربعـون صحيفـة، وصلـت في عـام ٢٠٠٥م الى أكـثر مـن مائـة صحيفـة. كـما أن ارقـام توزيـع هـذه الصحـف قـد ارتفعـت مـن ثمانيـة ملايـين الى ثلاثـة وعشريـن مليـون نسـخة خـلال نفـس الفـترة (٢٠٠٠-٢٠٠٥م). وتشـير الإحصـاءات في كثـير مـن أسـواق العـالم الكـبرى الى توفـر صحـف مجانيـة فيهـا. وفي دول مثـل اسـبانيا والبرتغـال والدانمـرك وسـويسرا واليونـان وايطاليـا والمجـر والتشـيك وايسـلندا وسـنغافورة تمثـل الصحـف المجانيـة ٢٠٪ فأكـثر مـن مجمـل الصحـف الصـادرة في تلـك البلـدان [٢١].

---

20 ص 39 20

21 Bakker

وهنـاك حقيقـة سـجب توضيحهـا وهـي أن انخفـاض أرقـام التوزيـع للصحـف المدفوعـة لا يعـزى الى وجـود صحـف مجانيـة في أسـواق تلـك الصحـف. وعـلى سـبيل المثـال فـإن المانيـا التـي لا توجـد بهـا صحـف مجانيـة شـهدت انخفاضـا حـادا في أرقـام توزيـع صحفهـا اليوميـة. ولكـن الصحـف المجانيـة هـي في طريقهـا الى ألمانيـا في المسـتقبل القريـب، حيـث وجـد أحـد الناشريـن النرويجيـين شبسـتد Schibsted ضالتـه في مـشروع جديـد لإصـدار صحيفـة مجانيـة بخمسـة عـشر طبعـة يتـم توزيعهـا في ٢٢ مدينـة ألمانيـة. وفي حالـة صـدور هـذه الصحيفـة المجانيـة في ألمانيـا فـإن فسـيحذوا بعـض الناشريـن الألمـان الى إصـدار صحـف مجانيـة أخـرى بهـدف الدخـول في المنافسـة مـع الصحـف القائمـة. وتحديـدا فقـد ذكـر النـاشر الألمـاني سـبرنجر Springer الى أنـه سـيصدر صحفـا مجانيـة في حالـة واحـدة فقـط، وهـي نجـاح النـاشر النرويجـي شبسـتد في مشروعـه لإدخـال الصحـف المجانيـة الى السـوق الألمانيـة.

لربمـا أن الواقـع يشـير الى أن قـارئ الصحيفـة المجانيـة هـو في نفـس الوقت قـارئ الصحـف التقليدية المدفوعـة، او كونـه لم يكـن قارئـا لأي صحيفـة مدفوعـة عـلى الإطـلاق. وهنـاك محاولـة مـن الناشريـن لإسـتثمار هـذه الشريحـة مـن القـراء الجـدد للـدول معهـم في مغامـرة الصحـف المجانيـة. وقـد تكـون الوسـيلة الوحيـدة للوصـول الى مثـل هـذه المجموعـات السـكانية مـن القـراء هـي مـن خـلال الصحـف المجانيـة او مـن خـلال الخدمـات المجانيـة للأخبـار عـبر الإنترنـت. وليـس مـن المحتمـل أن تحـل الصحـف المجانيـة مـكان الصحـف المدفوعـة نظـرا لتمايـز هاتـين الوسـيلتين واختـلاف جماهيرهـا[٢٢].

ومـن الملاحـظ أن معظـم الناشريـن للصحـف المدفوعـة يقفـون ضـد إصدار صحـف مجانيـة، ولكنهم يجـدون أنفسـهم أول مـن يشـارك في مثـل هـذه المشروعات اذا تأكـدوا من حتمية دخول هـذه الصحف الى اسـواقهم. وخـير مثـال عـلى ذلك أكسـل سـبرنجر الألماني الـذي يقف ضد الإصـدار المجاني للصحـف في المانيا، ولكنه في نفس الوقت يؤكد أنه سـيدخل السـوق بقوة في حالة وجود مثل هذه المشروعات. وتحديدا فإنه

22 Bakker

يتجـه الى اطـلاق صحيفـة جراتيسـيمو Gratissimo التـي يضعهـا كمـشروع جاهـز للإطـلاق في حالـة دخـول أي صحيفـة مجانيـة الى السـوق الألمانيـة. وعـن سـبب معارضـة سـبرنجر للصحافـة المجانيـة المديـر التنفيـذي لشركتـه الى أن الخدمـة الصحافيـة يجـب ان يكـون لهـا ثمـن، ولا يؤمـن بجـدارة الصحـف المجانيـة مـن وجهـة النظـر المهنيـة. وفي حالـة وجـود عـدد مـن الصحـف المجانيـة في السـوق الألمانيـة فـإن كثـيرا مـن الناشريـن يواجهـون بـلا شـك خسـارة ماديـة كبـيرة. واتجـاه سـبرنجرلإطلاق صحيفـة جراتيسـيمو هـي محاولـة للحصـول عـلى جـزء مـن هـذه الكعكـة، ومحاولـة تقليـص حجـم الخسـارة التـي سـتواجهها الصحـف المدفوعـة. ولكـن يظـل المجـال واسـعا ومفتوحـا للصحـف المدفوعـة في خـارج المـدن الكـبرى في ألمانيـا حيـث لا يصـل تأثـير ونفـوذ الصحـف المجانيـة الى هنـاك.

الصحيفة الثالثة في العالم:

تعـد صحيفـة مـترو Metro الصحيفـة المجانيـة أفضـل نمـوذج نجـاح يجسـد أهميـة الاتجـاه نحـو الصحافـة المجانيـة في العـالم. وقـد وصلـت أرقـام توزيـع هـذه الصحيفـة الى حـوالي سـتة ملايـين نسـخة ليضعهـا في المرتبـة الثالثـة بـين صحـف العـالم فيـما يخـص أرقـام التوزيـع. وتـأتي مـترو ثالثـا بعـد صحيفتـين يابانيتـين هـما صحيفـة يوميـوري وصحيفـة اسـاهي، اللتـين تـوزع كل منهـما أكـثر مـن عـشرة ملايـين نسـخة يوميـا. ومـن المهـم الإشـارة الى أن صحيفـة مـترو هـي نمـوذج فريـد يتوزيعهـا القـاري وليـس التوزيـع داخـل دولةواحـدة، فهـي صحيفـة يوميـة تـوزع سـتة ملايـين نسـخة، ولكـن يقرأهـا ١٧ مليـون قارئ،ولديهـا ٥٧ طبعـة تـوزع في ٨١ مدينـة في ١٨ دولـة[٢٣].

وفي إطـار نجاحـات الصحـف المجانيـة، ففـي سـويسرا اسـتطاعت إحـدى الصحـف المجانيـة – إحـدى طبعـات صحيفـة مـترو – وتسـمى Minuten ٢٠ أن تتخطـى في أرقـام توزيعهـا الصحيفـة الأكـثر انتشـارا في سـويسرا Blick حيـث قاربـت الصحيفـة المجانيـة مـن رقـم المليـون نسـخة بعدمـا أضافـت بعـض الطبعـات الجديـدة في بعض المدن السـويسرية الجديدة. وفي خطوة تنافسـية مع صحف مجانية قائمة سـتطلق إحدى

23 TN 2006, P. 35-36

دور النشر الإسبانية Recoletos صحيفة جديدة بمسمى كيو Que ستنافس بها صحيفتين مجانيتين قائمتين هما مترو Metro وعشرون دقيقة Minutos ٢٠ . ومما يجعل لهذه الصحيفة الجديدة تميزها هو وجود نسخة الكترونية لها تعنى بالتفاعل مع القارء، وخاصة شرائح الشباب منهم. كما أن هذا الموقع الالكتروني لهذه الصحيفة الجديدة سيكون مركز لتجميع المدونات الشخصية.

وفي تحليل لأحد مسئولي صحيفة ميترو ومركزها السويد، قال رئيسها التنفيذي تورنبرج Tornberg إن الصحف المجانية لن تمثل تهديدا خطيرا على الصحف المدفوعة، ولكن هذه الظاهرة ستفرض على الصحف المدفوعة أن تتكيف مع الأوضاع الجديدة. وتوقع تورنبرج أن الصحف المدفوعة سيكون جل تركيزها وقاط قوتها في ايام العطل الأسبوعية نظرا لأن الصحف المجانية لا تصدر خلال هذه الأيام. وشبه ما يدور حاليا من حمى المنافسة بين الصحف المجانية والصحف المدفوعة بما كان يدور من عراك ومنافسة بين التلفزيون المجانية والتلفزيون المدفوع في كثير من المجتمعات العالمية[٢٤]

***

24 The Guardian, Nov. 28, 2005

الصحافة الإلكترونية

يشـير بعـض الإقتصاديـين الى مفهـوم "الغـداء المجـاني" free lunch ، ولكـن البعـض يؤكـد أنـه لا يوجـد شـيئ اسـمه الغـداء المجـاني في هـذا العـالم،، ولكـن الحقيقـة الجديـدة هـي وجـود معلومـات مجانيـة free information كثيرة في كل مـكان تقريبـا مـن الكـرة الأرضيـة، وبشـكل خـاص وفـر الانترنـت هـذه الخدمـة التـي اسـتطاعت أن تسـاوي بـين النـاس في امتـلاك المعلومـة، كـما أن الاتجـاه الحديـث في انتشـار الصحـف المجانيـة هونـوع لآخـر مـن توفـير المعلومـات المجانيـة للمتلقـي في أي مـكان في العـالم تقريبـا.

ومـع توافـر المحتـوى المجـاني في الإنترنـت يجـب الإشـارة الى أن التجهيـزات hardware ليسـت مجانية فهـي تسـتلزم امتـلاك شـخصي لهـا، مثـل جهـاز كمبيوتـر، اشـتراكات الانترنـت، وتجهيـزات تقنيـة أخـرى.. مـع العلـم بامكانيـة اسـتخدام مثـل هـذه التجهيـزات مجانـا في عـدد مـن المواقـع والمؤسسـات مثـل المدرسـة والجامعـة والنـادي ومواقـع عامـة اخـرى توفـر مثـل هـذه التجهيـزات والخدمـات بشـكل مجانين ولكـن تظـل المحتويـات التـي يوفرهـا الإنترنـت متجههـا في معظمهـا الى المجانيـة باسـتثناء اشـتراكات في بعـض الصحـف والمواقـع المعلوماتيـة المتخصصـة. وكثـير مـن الصحـف تقـدم خدماتهـا الالكترونيـة عـبر الانترنـت مجانـا، كـما أن محـركات البحـث تقـدم بالتأكيـد خدماتهـا المعلوماتيـة بشـكل مجـاني بـكل لغـات العـالم. فعـلي سـبيل المثـال يطـرح محـرك جوجـل google يوميـا أكـثر مـن ٤٥٠٠ عنـوان خـبري في الولايـات المتحـدة والمملكـة المتحـدة. كـما يقـدم خدمـات اخباريـة مجانيـة بلغـات عالميـة أخـرى. [٢٥]

ومـع هـذا الكـم المجـاني الهائـل تولـدت نمـاذج جديـدة تحـاول بيـع هـذه الخدمـات المعلوماتيـة (الإخباريـة). وهنـاك قضايـا حاليـة لمقاضـات محـركات البحـث نظـير اسـتخدامها الأخبـار التـي تمتلكهـا مؤسسـات إعلاميـة، حيـث تقـاضي حاليـا وكالـة الصحافـة الفرنسـية AFP محـرك جوجـل google عـلى اسـتخدامه الأخبـار الـواردة مـن هـذه الوكالـة بـدون أي عائـد مـادي يعـود عـلى الوكالـة. وقـد حـذت بعـض الـوكالات والمؤسسـات الإعلاميـة حـذو وكالـة الصحافـة الفرنسـية في هـذه الخطـوة.

٢٥ المرجع السابق ، ص ٣٩

وعلى العموم يمكن القول بأن معظم المؤسسات الإعلامية تقدم خدماتها بشكل مجاني، ولكنها تطلب في المقابل التسجيل في الموقع بهدف بيع هذه المعلومات لشركات التسويق نظير عوائد مادية. وفي ظل عدم الربحية او تغطية التكاليف فقد اتجهت بعض هذه المؤسسات الى تقديم جزء من الخدمة الإخبارية مجانا، مقابل الدفع مقابل الاستزادة والبحث عن مزيد من التفاصيل في هذه الأخبار والموضوعات. وهذا ما تقدمه كثير من الصحف العالمية، حيث تقدم صفحتها الأولى مجانا، بينما التفاصيل والاستفاضة في الموضوع تحتاج الى اشتراك مدفوع الخدمة. وفيما يبدو كما ذكر ذلك أستاذ الإعلام بجامعة امستردام بيت باكر أن هذا هو النموذج الجديد في تعامل المؤسسات الإعلامية مع مستخدمي الانترنت [٢٦].

وتوجد ثلاث صحف ومجلات استطاعت أن تبني لها سمعة في مواقعها الإلكترونية المدفوعة، وهي نيويرك تايمز، وول سترتيت جورنال ومجلة الإيكونومست. ولكن الجدل يدور حول نجاح هذه النماذج الإعلامية لكونها تقدم خدمات معلوماتية متخصصة، عدا النيويورك تايمز التي تفتخر بارشيفها الصحافي ومنتديات كتابها وقرائها على أنه من أهم جوانب تميزها الذي تعتقد بأن له قيمة مادية يجب أن تدفع للمشاركة او للإطلاع عليه. فقد ذكرت كاترين ماتيس Catherine Mathis المتحدثة بإسم شركة نيوبورك تايمز أن الدراسات المسحية للصحية أشارت الى أن المقالات الصحافية لكتاب الصحيفة ومنتديات الكتاب والقراء اضافة الى الإرشيف الثري جدا للصحيفة هو الذي يميز موقع النيويورك تايمز عن غيره من المواقع الإلكترونية[٢٧].

وفي جانب اقتصادي آخر من هذا الموضوع أشار نائب رئيس الشئون الإلكترونية بصحيفة النيويورك تايمز مارتن نيسنهولتز Nisenholtz الى أن الصحيفة تحتاج الى إيراد جديد للصرف علىخدماتها، ورسم ٢,٩٥$ للوصول لمقال او موضوع يعطي الصحيفة أكثر من مليون دولار سنويا يساهم في تغطيات خدماتها[٢٨]. ويعترف في

26 Bakker, 2006

27 The Boston Globe, May 17, 2005

28 Frank Barnako, MarketWatch Newsletter, Nov, 2005

نفس الوقت بأن وضع بعض الكتاب خلف الجدران قد يعيق تواصل القراء معهم، بينما يرى ديفيد كار - الكاتب في نفس الصحيفة - بأن هذه الجدران قد تجعل هولاء الكتاب المشاهير في طي النسيان. وأشارت الإحصاءات الى أن عدد المشتركين في خدمة النيويورك تايمز - TimesSelect - منذ اطلاقها في سبتمبر ٢٠٠٥م وصل الى أكثر من ربع مليون مشترك خلال الشهرين الأولى من هذه الخدمة. ولكن يرى بعض المراقبين أن هذه الخطوة قد تشكل خطورة على الصحيفة من الناحية الشعبية، حيث قد تحقق في المرحلة الحالية بعض النجاح، الا أنه يمكن مستقبلا أن نفقد الكثير من الوهج والإهتمام لوجود صحف منافسة مثل واشنطن بوست ولوس انجلس تايمز ويو إس أي تودي وغيرها من الصحف[٢٩].

شهدت بعض الصحف الإقتصادية نموا في أعداد المشتركين في خدماتها الإلكترونية، حيث وصل النمو السنوي في صحيفة الفايننشال تايمز البريطانية الى ٧٪، وكانت قد حذت حذو الصحيفة الإقتصادية الأكثر انتشارا في العالم وول استريت جورنال في هذا الشأن. كما أن صحيفة ليسكو الإقتصادية Les Echos الفرنسية تبنت نفس المنهج في بناء قاعدة من المشتركين في مواقعها الإكترونية. ودخلت إحدى أشهر الصحف الأسبانية البيس El Pais في نموذج المزاوجة بين المجانةي والدفع للحصول والاطلاع على محتوياتها، بعد أن عملت لمدة حوالي ثلاثة أعوام على نموذج الإغلاق الكامل للموقع الا من خلال اشتراك مدفوع للصحيفة. ولكن اتجهت الصحيفة الأسبانية الى منهج المزاوجة، حيث أتاحت الدخول المجاني على الأخبار العاجلة والمقالات، وبعض التحقيقات، مع الإبقاء على نظام اشتراك على بعض محتويات الصحيفة[٣٠].

وفي آسيا أخذت بعض الصحف نفس النهج، فمثلا بدات صحيفة ستريتس تايمز Strait's Times السنغافورية هذا التحول الى مرحلتين، اولاهما البدء في التسجيل في موقع الصحيفة مع الدخول المجاني الى الموقع، ولكنها في انتقلت في الفترة الأخيرة في فرض رسوم دفع للدخول الى بعض صفحاتها مشيرة الى ان الصحيفة تمتلك

29 Trends in Newsrooms, p 31

30 The International Herald Tribune, March 21, 2005

مـن المنتجـات الإخباريـة والمعلوماتيـة مـا يشـجع ويقنـع القـراء بدفـع رسـوم نظـير اطلاعهـم عـلى بعـض محتويـات الصحيفـة. كـما تشـير الصحيفـة الى أنـه مـن غـير الأخلاقـي أن يدفـع قـراء الصحيفـة الورقيـة ويسـتثنى قـراء الصحيفـة الإلكترونيـة[31].

وأشـارت كاتريـن سـيلي Seelye الى صعوبـة المرحلـة الحاليـة التـي تعيشـها كثـير مـن الصحـف في العـالم وخاصـة الولايـات المتحـدة الأميركيـة. وذكـرت أن هنـاك ثـلاث صعوبـات (تحديـات) تواجـه هـذه الصحـف في المرحلـة الانتقاليـة الحاليـة، وتحديـدا عندمـا يكـون الإنتقـال الى نمـوذج الاشـتراك المدفـوع في مواقعهـا الإلكترونيـة[32]:

- بـدأ الكثـير مـن النـاس الإعتيـاد عـلى الخدمـات الإخباريـة المجانيـة عـبر الإنترنـت، مـما يشـكل شريحـة اضافيـة مهمـة الى قـراء الصحـف وخاصـة مـن شرائـح القـراء الشـباب الذيـن لـن يكونـوا في يـوم مـن الإيـام مـن القـراء الذيـن يدفعـون مقابـل ممارسـة القـراءة. كـما أن تنامـي رسـوم الاشـتراكات في الصحـف الورقيـة هـو أحـد الأسـباب الطـاردة لمزيـد مـن القـراء الجـدد للصحافـة الورقيـة.
- عندمـا تضـع الصحيفـة رسـوم اشـتراك عـلى موقعهـا الإلكـتروني فهـي بهـذا تحـد مـن نسـبة الانتشـار والترويـج للـمادة الإعلاميـة، ومـا يسـتتبع ذلـك مـن انخفـاض او الحـد مـن الايـراد الإعـلاني المتوقـع مـن الموقـع الإلكـتروني.
- يعـد التحـول نحـو النمـوذج المدفـوع في المواقـع الإلكترونيـة متأخـرا خصوصـا مـع تنامـي وجـود مواقـع صحافيـة جديـدة للمواطنـين citizens journalism التـي تقـدم الكثـير مـن الخدمـات المعلوماتيـة والإخباريـة بشـكل مجـاني.

ويـدور جـدل حـول إتاحـة ارشـيف الصحـف أمـام متصفحـي الإنترنـت بشـكل مجـاني أسـوة ببعـض المواقـع المجانيـة عـلى الإنترنـت. وهـذا مـا يطرحـه مـارك جـلاسر Mark Glaser ولكنـه يسـتدرك ليقـول بـأن الصحـف ليسـت جاهـزة لمثـل هـذه الخطـوة لأن البعـض منهـا يسـتحوذ عـلى نسـبة مـن ايراداتـه مـن الوصـول المدفـوع الى ارشـيف تلـك الصحـف.

31 The Industry Standard, Online Journalism Review, Feb. 25, 2005

32 The New York Times, March 15, 2005

ويمكـن التنويـه هنـا الى أن بعـض الصحـف الكـبرى في العـالم تتيـح الفرصـة للدخـول المجـاني الى ارشـيفها الصحافيـة، ومـن هـذه الصحـف صحيفـة الجارديـان Guardian البريطانيـة[٣٣].

ويشـكل الكتّـاب في الصحيفـة أداة ضغـط عـلى اصحيفـة لفتـح مواقعهـا الإلكترونيـة أمـام جمهـور الإنترنـت، حيـث أن البعـض منهـم يشـتكي مـن عـدم التفاعـل مـع الجمهـور العـام وقلـة التعقيبـات عـلى مثـل تلـك المقـالات التـي يكتبونهـا في الصحـف مـن قرائهـم. وربمـا أن نمـوذج لـوس انجلـس تايمـز في إضطرارهـا الى فتـح قسـم الخدمـات المعلوماتيـة والترفيهيـة والدخـول الى هـذا القسـم مجانـا هـو نمـوذج لضغـط كتـاب ومعـدي محتويـات هـذا القسـم، حيـث تسربـت مجموعـة منهـم الى خـارج الصيفـة نتيجـة إحساسـهم بقلـة الإقبـال عـلى هـذا الملحـق الترفيهـي[٣٤].

وقـد اعـترض أحـد كتـاب صحيفـة النيويـورك تايمـز عـلى اتجـاه بعـض الصحـف مثـل النيويـورك تايمـز ذاتهـا عـلى الاتجـاه نحـو خدمـة الاترنـت المدفوعـة، مشـيرا الى أن شريحـة القـراء مـن الشـباب لـن تأخـذ هـذا المنحنـى وتدفـع قيمـة الاشـتراك في صحيفـة تقـدم أخبـارا ومعلومـات عامـة، او تقـدم بعـض المقـالات لكتابهـا. وأشـار هـذا الكاتـب[٣٥] – ديفيـد كار Carr - الى أن مثـل هـذه الصحـف سـتفقد هـذه الشريحـة العريضـة مـن الشـباب اذا أصرت عـلى الإسـتمرار في الإشـتراكات المدفوعـة للدخـول الى مواقعهـا الإلكترونيـة.

***

33 Online Journalism Review, Feb. 4, 2005

34 Trends in Newsroom, p. 34

35 New York Times, Oct. 26, 2005

صحافة المواطنين

أشـار أحـد أهـم الـرواد فيـما يعـرف بصحافـة المواطنـين citizens journalism الى هـذا التوجـه الجديـد مـن الصحافـة الـذي سيغير العـالم. وذكـر دان جيلمـور Dan Gillmor - وهـو صحـافي سـابق في صحيفـة San Jose Merury News ثـم تحـول الى نظـام الإعلاميـات الشـخصية ويعـد أحـد روادهـا وأبـرز المدافعـين عنهـا - أن الفـارق الكبـير مـن الصحافـة التقليديـة وصحافـة المواطنـين هـي أن الأولى تعتمـد نظـام المحـاضرات التـي تلقـى، بينـما الثانيـة تعتمـد عـلى نظـام المحادثـة والحـوار. وأشـار جيلمـور في المنتـدى الثـاني عـشر العالمـي للمحرريـن الـذي عقـد بسـيول في كوريـا الى أن صحافـة المواطنـين هـي مرحلـة متطـورة وأفضـل مـن الصحافـة التقليديـة، لأنهـا تتيـح فرصـة امـام الجمهـور الـذي ملّ مـن الاسـتماع الى المحـاضرات الى أن يشـارك فيهـا، بـدل ان يظـل صامتـا ويتلقـى المعلومـات مـن طـرف واحـد. وأضـاف بأنـه ليـس مهـما رأي المؤسسـات الإعلاميـة التـي تقـف ضـد هـذا الطـرح الجديـد، لأن هـذه الصحافـة الجديـدة مسـتمرة ومتناميـة وتسـتقطب مزيـدا مـن المتابعـين[٣٦].

ويضيـف جيلمـور أن عـلى المحرريـن والصحافيـين أن يسـتفيدوا مـن هـذا المنهـج الجديـد في الإعلام، وبمتابعتهـم لمثـل هـذه المواقـع فـإن ثقافتهـم سـتزداد عمقـا نحـو عـدد كبـير مـن الموضوعـات والقضايـا، لأن الفرصـة سـتكون متاحـة للتعـرف عـلى حـوارت النـاس وهمومـم واتجاهاتهـم وافكارهـم. وتضـع هذه المواقـع وسـائل الإعـلام في وضـع أشـبه مـا يكـون مـأزق، حيـث يتـم طـرح قضايـا وموضوعـات في مثـل هـذه المواقـع، فـلا تجـد الصحافـة التقيديـة بـدا الا الدخـول فيهـا والتجـاوب معهـا، وهـذا يرفـع مـن مسـتوى الشـفافية لـدى وسـائل الإعـلام التقليديـة في تنـاول موضوعـات جديـدة مـا كانـوا ليتناولونهـا، او مناقشـة آراء وموضوعـات قائمـة مـا كانـوا ليفسـحوا المجـال اليهـا[٣٧].

---

٣٦ Trends in Newsroms, 2006, p. 47

٣٧ المرجع السابق

ويعترف كبار التنفيذيين الإعلاميين بالتغير الكبير الذي تحدثه صحافة المواطنين على طبيعة العمل التقليدي للمؤسسات الإعلامية. فقد ذكر أوكانر وشيشتر O'Conor & Schechter مؤسسي إحدى الشركات الإعلامية Globalvision الى أنه لسنوات وعقود كان الصحافيون هم الذين يملون ما ينشر على الجهور من موضوعات وقضايا، ولكن مع الإتحاهات الجديدة لم يعد هذا المفهوم سائدا، فقد أصبح المواطن العادي يأخذ دورا جديدا ليقول كلمته ويفصح عن رايه. لقد انتقلت القوة الإعلامية الى ايادي جديدة: هي ايادي المواطنين الذين يمتلكون امكانية الاتصال عبر الإنترنت. ويرى أوكانر وشيشتر أنه من الأفضل لوسائل الإعلام التقليدية ألاّ تعادي مثل هذه المواقع بل تحاول أن تدمجها في أهدافها الإعلامية. ويجب أن تتنازل وسائل الإعلام عن مفهوم السيطرة الكاملة على الإعلام والمعلومات حتى لاتفقد السيطرة على هذا المجال[38].

وفي محاولات جادة من قبل بعض المؤسسات الإعلامية لإستثمار مثل هذه الوسائل الإعلامية الجديدة - صحافة الموطنين - فقد سعت بعض هذه المؤسسات الى ادماج جهود المواطنين الذين يمتلكون مواقع وخدمات اخبارية وإعلامية ضمن عمل وبرامج المؤسسات الإعلامية التقليدية. ويتم في ذلك دمج الخدمة الإعلامية المتاحة من خلال صحافة المواطنين من أخبار وصور فوتغرافية وصور تلفزيونية في مجمل الخدمة الإعلامية التي تقدمها هذه الموسسات. وهذه محاولة من هذه المؤسسات للإستفادة من واقع إعلام قائم، وخدمة إخبارية متاحة. كما أن هذا - بلا شك - يعطي إدراك وشرعية لمثل هذه الجهود التي يقوم بها مواطنون عاديون في خدمة الشأن العام، مما يفرز مزيدا من الديناميكية في العلاقة بين الإعلام والجمهور.

وكانت مثل هذه الخطوات قد وجدت حماسا من قبل مؤسسات إعلامية كبرى مثل شبكة التلفزيون الأمريكية CBS ومحطة التلفزة البريطانية BBC من خلال

38 Trends in Newsroom 2006, p. 47

فتح المجال أمام الجمهور من المشاهدين والمستمعين ومن قراء مواقعها الألكتروية في ابداء آرائهم ومقترحاتهم تجاه ماتبثه هذه المحطات. وتنطلق هذه النوايا من مبدا الشفافية الإعلامية، اي إتاحة المجال لإبداء آراء صريحة وشفافة عن التغطيات الإعلامية والبارمج الجماهيرية في هذه المحطات. وتمثل هذه الخطوات من قبل المؤسسات الإعلامية محاولات جادة لتغيير مفهوم الإتجاه الخطي من الأعلى الى الأسفل، واستبداله بالإتجاه الثنائي الذي تتكافأ فيه الفرص بين القائمين على الإعلام والجمهور العام المتابع لهذه الوسائل[٣٩].

تشير استطلاعات الرأي الى تنامي الإهتمام بمتابعة الإعلاميات الشخصية blogs عبر الإنترنت. فقي استطلاع قامت به شبكة التلفزيون CNN وصحيفة USA Today ومعهد جالوب Gallup اشار الإستطلاع الجماهيري الى تنامي هذه الظاهرة في أوساط الشرئح الشابة. فقد وصلت نسبة من يتصفح الإنترنت بدرجة منتظمة من الشرائح العمرية الأكبر ٣٣٪، ومن هولاء ٢٨٪ يتابعون الإعلاميات الشخصية blogs.. وفي المقابل فإن ٩١٪ من الشرائح العمرية الأصغر يتصفحون الإنترنت، ومن هولاء توجد نسبة ٤٤٪ يتابعون الإعلاميات الشخصية[٤٠].

وقد تولد لدى السياسيين اهتمام بتوظيف هذه الوسائل الجديدة – الإعلاميات الشخصية – في خدمة رسائلهم السياسية ومحاولاتهم الالتفاف حول الحصار الذي تطبقه وسائل الإعلام التقليدية على بعض الساسة الناشطين. كما يرى بعض الساسة أن هذه الوسائل هي أوعية نشر اضافية يجب توظيفها للوصول الى الجمهور العام او جمهور خاص على وجه التحديد في خطوات لمزيد من التواصل بين السياسيين والمواطنين[٤١].

كما أن هذه الإعلاميات الشخصية أصبحت محطات يتم فيها تجاوز وسائل الإعلام التقليدية التي ربما تكون موجهة من قبل شركات علاقات عامة لتمرير رسائل معينة. وقد تكون وسائل الإعلام في بعض الأحيان أدوات لتمرير رسائل علاقات عامة

39 Media is plural, Morph, Oct. 7, 2005

40 Trends in Newsrooms 2006, p. 46

41 Wall Street Journal, March 23, 2005

لـدول او شـخثيات او مؤسسـات، ولكـن النـشر مـن خـلال الإعلاميـات الشـخصية يعطـي رأيـا آخـر في بعـض القضايـا والموضوعـات ويعكـس اتجاهـات مخالفـة لمـا قـد تبثـه وسـائل الإعـلام التقليديـة. ويـرى بعـض الناشريـن أن هـذه الإعلاميـات الشـخصية هـي ايجابيـة وسـلبية في نفـس الوقـت، فهـي ايجابيـة لأن محتوياتهـا تسـتقطب اهتـمام شرائـح كبـيرة مـن النـاس، ولكنهـا سـلبية لتعـذر وجـود آليـات واضحـة لتقنـين رسـوم اشـتراك نظـير هـذه الخدمـة المجانيـة التـي تتيحهـا اذا كان هنـاك توجـه لمثـل هـذا الإجـراء[٤٢].

***

42 MarketWatch, March 23, 2005

وكالات الأنباء العالمية

قد يتساءل أحد هل أحدثت ثورة تقنيات الإتصال والمعلومات، وخاصة ظهور الإنترنت وتأثيره على الجمهور الإعلامي العام، هل أحدثت هذه الظروف تأثيرا على طبيعة عمل وكالات الأنباء العالمية او على محتوياتها التحريرية؟

ويمكن الإشارة الى أن التأثير بتفاوت من وكالة الى وكالة الأخرى. وأجمالا يمكن القول بأن وكالة الأسويشتد برس Associated Press لم تتأثر كثيرا،واستمرت في عملها ودورها التقليدي بنشر أخبار وتقارير من اعضائها المشاركين فيها من صحف ووسائل إعلام أخرى. واذا دخل المتصفح الى موقع هذه الوكالة واانتقى موضوعا، فإن هذا الموضوع عادة ما يكون مرتبطا برابط الجهة الإعلامية التي يعود اليها هذا الموضوع او الخبر او التقرير، وبالتالي اذا كانت هناك قيود على بث او نشر الخبر او الموضوع، فأن الجهة صاحبة الحقوق هي التي تضع مثل هذه القيود[٤٣].

أما وكالة الصحافة الفرنسية Agence France Pres فإنها لاتنشر او تبث الا بنسبة ضئيلة من مجمل محتوياتها على موقعها الإلكتروني، وبالتالي فهي مستمرة في منهجها التقليدي في إعطاء الفرصة فقط للمشتركين فيها. وبخلاف هاتين الوكالتين فإننا نجد وكالة رويترز Reuters قد قفزت الى الى الأمام وأصبحت وكالة مفتوحة أمام الجمهور العام، حيث أتاحت نسبة كبيرة من محتوياتها بما في ذلك اللقطات المرئية video لإطلاع متصفحي موقعها الإلكتروني[٤٤].

أشار دين رايت Dean Wright مدير تحرير وكالة رويترز الى عدة عوامل أدت الى تغيرات جوهرية في الإعلام خلال السنوات الماضية، ومن هذه العوامل[٤٥]:

١. ظهور الإعلام الرقمي.. بديلا عن الإعلام الأنلوجي، وهذه موجة طاغية أثرت على الإعلام بشكل كبير جدا. وما لاحظناه خلال السنوات الثمان الماضية التي سبقت هذا العهد الجديد، وتحديدا ظهور تقنية البرود باند broadband، هي ذروة

43 Trends in the Newsroom 2006, p. 79

44 TN 2006, p. 80

45 www.editorsblog.org.anlysis/2005

القـوة الهائلـة ف التغيـير. كـما أن ظهـور الإنترنـت قـد غـير مـن دورة العمـل الإعلامـي التقليديـة وانتهـج أسـلوب المبـاشرة والفوريـة. وقـد أدركـت كثـير مـن الصحـف أن مـن غـير المملكـن الأنتظـار الى صبـاح يـوم الغـد لنـشر الأخبـار المتسـارعة، ولهـذا فـإن الحلـول تكمـن في بـث تـوالي هـذه الأحـداث وتسـارعها عـلى مواقعهـا الإلكترونيـة، حتـى يمكـن أن تواكـب الصحـف وسـائل الإعـلام الأخـرى مـن محطـات تلفزيونيـة وإذاعيـة ومواقـع انترنـت. ولا ينبغـي أن تقـاوم الصحـف هـذ الإتجـاه الجديـد، بـل يجـب ان تباركـه وتحـاول اسـتثماره.

٢. تمتلـك الصحافـة سـمة مميـزة عـن غيرهـا مـن وسـائل الإعـلام الأخـرى، فهـي أقـدر عـلى معرفـة الشـئون المحليـة التـي تقـع فيهـا الصحـف. ولا يمكـن أن تتنافـس معهـا وكالات الأنبـاء العالميـة مهـما بذلـت تلـك الـوكالات مـن جهـود ووضعـت مـن امكانيـات. وهنـاك اتجـاه عـام للـوكالات أن تكـون عالميـة، الا أن مـا يميـز الصحـف هـو اسـتمرارها في الإهتـمام بالأحـداث المحليـة. وهـذه السـمة لا يجـب أن تفقدهـا الصحـف في زخـم الإهتـمام بالشـأن العالمـي.

٣. يـرى البعـض أن هنـاك تنافـس كبـير بـين ووسـائل الإعـلام الأخـرى وبـين محـركات البحـث الإلكترونية مثـل الياهـو yahoo وجوجـل google ، ولكـن المؤكـد كـما يشـير الى ذلـك الكثـير مـن الباحثـين واصحـاب الإختصـاص أن الخدمـات يجـب ان تكـون متكاملـة بـين الطرفـين. فكلـما كان محـرك البحـث سريعـا وشـاملا، أمكـن وصـول المتصفـح الى الأخبـار التـي يرغـب فيهـا في لحظـات سريعـة، وهـذا يخـدم وسـائل الإعـلام عامـة.

٤. يشـير البعـض الى وجـود تنافـس بـين وكالات الأنبـاء العالميـة ووسـائل الإعـلام الأعـلام الأخـرى، خاصـة الصحافـة، ولكـن يجـب ملاحظـة أن هـذه الوكالـت لا تتجـه الى اجماهـير العامـة كـما هـي الحـال مـع وسـائل الإعـلام الأخـرى مـن صحافـة وتلفزيـون، ولكنهـا تتجـه في أغلـب الأحـوال الى مشـتركين أعضـاء في هـذه الـوكالات مـن إعلاميـين ومهنيـين ومهمـين، او مـا يمكـن تسـمتهم بجمهـور العمـلاء consumer audience.

٥. هنـاك اتجـاه سـائد حاليـا في الغـاء مفهـوم الإختلافـات بـين الوسـائل، وبنـاء مفهـوم الـودة الإعلاميـة. ويتـم في كثـير مـن المؤسسـات والأكاديميـات الإعلاميـة بنـاء جيـل جديـد يمكـن أن يتعامـل مـع كافـة وسـائل الإعـلام التقليديـة والإلكترونيـة، فعـلى سـبيل المثـال تسـعى كل مـن صحيفـة نيويـورك تايمـز ووكالـة رويـترز الى تدريـب كوادرهـا للتعامـل م الوسـائط المتعـددة.

٦. تعـد وكالـة رويـترز رائـدة مـن بـين الـوكالات العالميـة في اسـتثمار التقنيـات الحديثـة، وتبنيهـا مبـادرات جديـدة للتعامـل مـع المعطيـات الإعلاميـة، ومواكبـة توجهـات السـوق واهتمامـات الجمهـور العـام، ويمكـن ايضـاح أهـم الخطـوات التـي تبنتهـا الوكالـة في هـذا المسـار:

- مـن المؤكـد أن وكالات الأنبـاء العالميـة سـتأخذ في اتجاهاتهـا الجديـدة المنافسـة عـلى الجمهـور العـام. وسـيصبح الفـرد العـادي هـو أحـد مناطـق المنافسـة مـع وسـائل الإعـلام الأخـرى، مثـل محطـات التلفـزة والإذاعـة والصحافـة. وتعمـل وكالـة رويـترز بشـكل خـاص عـلى نـشر خدماتهـا الإخباريـة الى المشـتركين في الجـوالات لإبلاغهـم بأهـم الأخبـار والأحـداث العالميـة وخاصـة الطارئـة والهامـة عـلى الصعيـد الـدولي. فنظـير اشـتراك شـهري لا يتعـدى ثلاثـة دولارات (أمريكيـة) يمكـن ارسـال أهـم عناويـن الأخبـار بمعـدل عـدة أخبـار في الأسـبوع[٤٦].
- تعمـل وكالـة رويـترز التقديـم خدمـات متخصصـة في المجـال الـذي يرغبـه المشـترك مـن خـلال دمـات الجـوال، وهـذا مـا يمكـن تسـميته بالخدمـات المعلوماتيـة المتخصصـة[٤٧].
- كـما أن اتجـاه رويـترز هـو تقديـم خدمـات مرئيـة (لقطـات فيديـو) بالتعـاون مـع كـبرى شركات الإتصـالات Vodafone حيـث يمكـن تقديـم لقطـات مرئيـة مـن الأحـداث والأخبـار الى المـلاء المشـتركين عـبر الجـوال - أكـثر مـن عشريـن لقطـة فيديـو - اضافـة الى معلومـات ماليـة وغيرهـا بشـكل يومـي[٤٨].

46 DMeurope.com, Aug. 10, 2005

47 Journaism.co.uk, Nov. 25, 2005

48 Media Bulletin, Nov. 25, 2005

الاتجاهات المقاسية للصحافة الدولية

يمكـن أن نقـول بـان الصحـف في العـالم تتـوزع بـين ثلاثـة أشـكال أو أنمـاط مقاسـية، هـي التابلويـد (النصفيـة) والبرودشـيت (الكاملـة) والشـكل الأوسـط الـذي يقـع بينهـما.

أ- البرودشيت:

كانـت بدايـة الصحـف في القـرن السـابع عـشر الميـلادي عـلى شـكل مطويـات ورقيـة صغـيرة، ولكنهـا كـبرت في الحجـم خـلال العقـود التاليـة. وفرضـت الحكومـة الإنجليزيـة في القـرن الثامـن عـشر (تحديـدا عـام ١٧١٢م) الضرائـب للحـد مـن تأثـير هـذه الصحـف عـلى الـرأي العـام، وكانـت تعتمـد كمقيـاس عـلى قيمـة الضرائـب عـلى أسـاس عـدد الصفحـات، ومـن أجـل اسـتيعاب أكـبر قـدر مـن المعلومـات والأخبـار والمقـالات وتقليـل نسبة الضرائـب[٤٩]، تولـدت الحاجـة لأن تكـون الصحـف كبـيرة الحجـم broadsheet أي بالمقـاس الكامـل المعـروف حاليـا في كثـير مـن الصحـف العربيـة والسـعودية. وكانـت صحيفـة Dutch Courante الإيطاليـة أول صحيفـة بالحجـم الكامـل "برودشـيت"، وذلـك عـام ١٦١٨م.

معظم صحف البرودشيت تصل مقاساتها للصفحة الواحدة ٦٠ سم طولا، و٣٧,٥ سم عرضا، أي ضعف مساحة صفحة التابلويد. ويزيد عرض صحافة البرودشيت قليلا في استراليا ونيوزيلاندا عن باقي صحف العالم بحوالي خمسة سنتيمترات). أما في الولايات المتحدة الأمريكية، فإن مقاسات البرودشيت تقل عن الشكل العالمي، حيث بعدا الصحف هناك يصل إلى حوالي ٥٧سم و ٣٧,٥ سم، حيث تعتبر الصحف الأمريكية الأقل طولا من بين صحف العالم، كما أن صحيفة وول ستريت جورنال الأمريكية أقل عرضا من باقي الصحف الأمريكية، حيث يصل عرضها إلى ٣٠ سم[٥٠]. وقد توقع توني سميثسون مدير الإنتاج في إحدى الصحف الأمريكية بأن الخمس أو العشر سنوات القادمة ستشهد نهية البرودشيت في الولايات المتحدة[٥١]. وذكر رئيس إحدى المجموعات الصحافية الكبيرة في الولايات المتحدة نايت رايدر Knight Ridder

49 www.psfk.com/2005/04/abloid_newspapers

50 www.en.wikipedia.org/wiki/broadsheet

51 Lewis, David, “Tabloids to Broadsheets: Drop Dead”, www.newsandtech.com/nexpo/2005

أن هذه المجموعة قد شكلت لجنة للنظر في خيارات تحويل بعض صحفها إلى تابلويد، علما أن المجموعة في وقت لاحق اشترت خمس صحف من بينها صحف تابلويد. كما أن مجموعة صحافية أخرى جانيت Gannett وهي المجموعة التي تمتلك صحيفة يو إس أي تودي USA Today تفكر في شراء مطابع جديدة من ألمانيا لبعض صحفها تكون على مقاس بيرلاينر أو كومباكت[52].

ترتبط صحف البرودشيت عادة بأنها صحف جادة، ومتوجهة للنخب العليا في المجتمع، لأنها تعتمد على قصص خبرية معمقة، مع ابتعاد هذه الصحف عن عناصر الإثارة التي تطرحها صحف التابلويد. ويجب التنويه هنا إلى أنه ليس كل صحيفة تابلويد هي صحيفة إثارة، وليست كل صحيفة برودشيت هي صحيفة جادة. فعلي سبيل المثل، فإن صحيفتي الديلي ميل وصحيفة الديلي اكسبرس هما في شكل تابلويد، ولكن محتواهما مختلف عن باقي صحف التابلويد الأخرى مثل الصن. كما أن صحيفة برودشيت مثل بلد الألمانية هي صحيفة إثارة وفضائح في مضمونها. كما أن بعض صحف البرودشيت تصدر لاحق متخصصة على شكل صحف تابلويد.

مع تنامي التحول نحو نظام التابلويد، لم يبق الا القليل من الصحف الوطنية بنظام البرودشيت في المملكة المتحدة، ومنها صحيفة الديلي تيليجراف Daily telegraph وصحيفة الصندي تايمز Sunday Times، حيث لا زالا يقاومان التحولات الجديدة، رغم وجود إشاعات أن الجارديان ستتحول قريبا إلى صحيفة تابلويد، أو كما يراها البعض من الصحف الجادة التحول نحو صحف مصغرة compact . وتوجد صحف أخرى في الساحة الصحافية البريطانية بنظام البرودشيت ومنها الفايننشال تايمز غيرها من الصحف الإقليمية.

ب- التابلويد:

هو مقاس صغير للصحيفة، يصل إلى نصف الصحيفة الكاملة، أي بطول ٢٣,٥ بوصة (حوالي ٦٠ سم) وبعرض ١٤,٧٥ بوصة (حوالي ٣٧ سم). وقد بدا استخدام

52 Ibid

مصطلح تابلويد من الحقل الطبي من خلال إحدى شركات الأدوية البريطانية، بقصد ضغط الحبوب العلاجية لتصبح "تابلت مضغوطة"، أي جعلها في أحجام صغيرة. ثم انتشر الاستخدام في ميادين أخرى ومنها الصحافة، حيث يعتبر ألفرد هارمسورث Harmsworth أحد أوائل من استخلص نموذجا مضمونيا لصحافة تعتمد على الإثارة السياسية وتبلي الذائقة الشعبية للناس، ويكون له التأثير على الرأي العام. وقد استطاع من خلال النشر في مطبوعاته من التابلويد الصحافية أن يسقط حكومة الحرب البريطانية في الحرب العالمية الأولى. وقد عاش هارمسورث خلال الفترة ١٨٦٥-١٩٢٢م[٥٣].

وانطلاقة صحافة التابلويد في اوروبا بدات نتيجة عاملين، هما (١) محاولة تقديم وجبات سريعة للقارئ يتناولها وهو في مكان عام مثل القطارات أو الباصات خلال ذهابه أو عودته من عمله؛ (٢) تقديم وجبات جديدة من العمل الصحافي، تعتمد على تركيز أكبر من القصص ذات الاهتمامات الإنسانية، وأخبار الحوادث، وبرامج الترفيه المتاحة[٥٤].

تعتبر صحيفة الصن من أشهر الصحف البريطانية- ومعها عدد من الصحف الأخرى- وهي صحيفة إثارة وفضائح وإغراء، وقد توجهت في السنوات الأخيرة كثير من الصحف البريطانية لتوظيف شكل تابلويد بديلا لأشكالها التقليدية، حيث انضمت في السنوات الماضية ثلاث من أشهر الصحف الجادة البريطانية إلى ركب التابلويد، وهي صحيفة التايمز Times – التي تحولت بعد ٢١٦ عاما منذ تأسيسها - وصحيفة الإندبندنت Independent وصحيفة سكوتسمان Scotsman . وتحاول هذه الصحف استخدام مفردة أخرى compact عند الحديث عن الشكل الجديد لها تحاشيا لاستخدام كلمة تابلويد التي ترتبط لدى الناس عادة بصحافة الفضائح والإثارة والجريمة[٥٥]. وأشارت تقارير عن بعض من هذه الصحف إلى نمو في توزيع هذه الصحف بعد ستة أشهر من التحول نحو المقاس المصغر compact، حيث اشارت التايمز إلى نمو يقدر ٣٢٪، وصحيفة الإندبندنت إلى ٢١٪[٥٦].

53 http://en.wikipedis.org/wiki/tabloid

54 www.poynter.org/content/content_view.asp

55 Ibid

56 Ibid

وتنتشر التابلويد في اوروبا، ومن أشهر صحف التابلويد صحيفة بلد Blid الألمانية، وهي صحيفة إثارة في شكل برودشيت (وليست صحيفة نصفية)، وتوزع حوالي الأربعة ملايين نسخة يوميا[٥٧]. كما في السوق الألمانية تحولت إحدى الصحف المشهورة دي فيلت Die Welt إلى تابلويد عام ٢٠٠٥م[٥٨]. وفي هولندا تحولت عدد من الصحف الجادة إلى مقاس التابلويد، وتاتي في المقدمة أشهر الصحف الهولندية NRC Handelsblad ، اضافة إلى صحف أخرى مجانية تبنت نظام التابلويد مثل مترو وغيرها من الصحف[٥٩].

في الصحافة الأمريكية، تعتبر صحيفة نيويورك ديلي نيوز New York Dail News أول نموذج لصحافة التبلويد، ولكن لم تكن مثل هذه الصحافة بنفس حجم الإثارة الموجود في الصحافة البريطانية. ولكن يمكن القول بأن صحيفة نيويورك بوست New York Post منذ أن اشتراها روبرت موردوك عام ١٩٧٦م هي نموذج أقرب لصحف التبلويد البريطانية. وعلى مستوى التابلويد توجد صحف أخرى في الولايات المتحدة، ومنها فيلادلفيا ديلي نيوز، شيكاغو صن-تايمز، دنفر روكي ماونتن نيوز، بوستن هيرالد، وغيرها من الصحف الأخرى، بما فيها صحيفة مجانية تصدر في سانفرانسسكو وواشنطن وبلتيمور واسمها إقزامنر Examiner[٦٠].

وقد تحولت طبعتا وول ستريت جورنال الأوروبية والآسيوية إلى شكل تابلويد، تمشيا مع السوق الأوروبية والآسيوية التي تضغط في اتجاه هذا التحول. ويجب التذكير هنا على أن صناعة الإعلان هي إحدى القوى المؤثرة على التوجه نحو صحافة التابلويد، حيث يرى المعلنون أن الإعلام في صحافة التابلويد لن يعطى التأثير المطلوب للإعلام على القراء[٦١]، ولهذا فتحاول هذه المؤسسات الإعلانية أن توقف زحف هذا التوجه العالمي نحو التابلويد.

57 http://en.wikipedis.org/wiki/tabloid

58 www.iht.com/articles/2005/05/15/business/papers16

59 Ibid

60 Ibid

61 www.psfk.com/2005/04/abloid_newspapers

وفي دول أخـرى في العـالم هنـاك العديـد مـن الصحـف التـي تبنـت هـذا النظـام الصحـافي، وفي الصـين عـلى سـبيل المثـال، فـإن هنـاك تحـولا كبـير نحـو التابلويـد منـذ منتصـف التسـعينيات. وفي روسـيا فـإن صحيفـة موسـكو نيـوز، وفي جورجيـا صحيفـة كييـف بوسـت كلاهـما مـن صحـف التابلويـد، كـما أن صحيفـة فاينانشـال الجورجيـة قـد تحولـت إلى تابلويـد.

وتواصـل موجـة التابلويـد اكتسـاحها لكثـير مـن صحف العـالم، حيـث وصلـت الظاهـرة في أمريكاالجنوبية، في الأرجنتـين، وتشـيلي، ثـم في شـمال أوروبـا، وفي آسـيا، في سـنغافورة وماليزيـا، وغيرهـا مـن دول العـالم. وقـد ذكـر أحـد المحللـين الاسـتراتيجيين في الجمعيـة الدوليـة للصحافـة – ومقرهـا باريـس – أن ٤٠٪ مـن صحـف العـالم قـد تحولـت إلى تابلويـد بنهايـة عـام ٢٠٠٥م، بينـما كانـت النسـبة حـوالي ٣٠٪ قبـل مطلـع القـرن العشريـن الميـلادي[٦٢].

جـ- صحف الكومباكت أو البيرلاينر:

كومباكـت compact هـو مصطلـح بريطـاني، يعنـي تحول صحيفة جـادة quality من طباعة برودشـيت إلى مقـاس أصغـر حجـما، لكنـه أكـبر مـن مقـاس التابلويـد. والكومباكـت يسـمى أيضـا في الأدبيـات الصحافيـة بيرلايـنر Berliner هـو المقـاس الوسـطي بـين التابلويـد وبـين البرودشـيت يسـمى احيانـا midi وتعنـي الشـكل الوسـطي في حجـم الصحيفـة. ويصـل طـول هـذا المقيـاس إلى ٤٧ سـم، وعرضـه ٣١,٥ سـم، أي اطـول مـن صحـف التابلويـد، ولكنهـا ليسـت أعـرض منهـا الا بأقـل مـن سـنتيمتر تقريبـا. وعـلى الرغـم أن الكثـير مـن الباحثـين والمحللـين الإعلاميـين يـرون أن أي تحـول مـن نظـام البرودشـيت إلى نظـام مقـاسي أصغـر هـو تحـول نحـو التابلويـد، الا أن مسـئولي تلك الصحف يـرون أن التحـول يجب ان يعطى تسـميات جديـدة، مثـل كومباكـت compact أو بيرلايـنر beriner وذلـك حتـى لا ينظـر القـراء أن هـذا التحـول عـلى أنـه انتصـار لصحـف التابلويـد، وحتـى يعطي الإحسـاس بـأن التوجهات التحريريـة لهذه الصحـف لم يتغير، فـلا تـزال الجديـة هـي الأسـاس الـذي تنتهجه هـذه الصحـف لسياسـتها التحريرية. ويبـدو أن هـذا النظام

62 www.iht.com/articls/2005/05/business/papers1

الورقـي الجديـد سـيأخذ مكانتـه منبـين الأنظمـة الورقيـة في الصناعـة الصحافيـة، حيـث سـينضم إلى النموذجـين السـابقين، البرودشـيت والتابلويـد.

وتـأتي في مقدمـة الصحـف التـي تنعـت مقاسـها الجديـد بالكومباكـت صحيفـة لي مونـد Le Monde وصحيفـة لي إكـو Les Echos الفرنسـيتين، وصحيفـة لاريببليـكا La Republica وصحيفـة La Stampa لاسـتامبا الإيطاليتـين، وصحيفـة دي مورجـن De Morgrn البلجيكيـة، بالإضافـة إلى الصحـف الأولى في كرواتيـا وصربيـا ومنتوجومـري، ومؤخـرا صحـف في دول أخـرى ومنهـا صحيفـة هآرتـز Haaretz الإسرائيليـة، التـي تحولـت في فبرايـر ٢٠٠٧م. كـما تحولـت صحيفـة منـت Mint الهنديـة - وهـي مـشروع مشـترك بـين مؤسسـة محليـة مـع صحيفـة وول سـتريت جورنـال – إلى نظـام بيرلايـنر في فبرايـر ٢٠٠٧م[٦٣]. وفي الولايـات المتحـدة الأمريكيـة فـإن الصحيفـة الوحيـدة التـي تحولـت إلى نظـام البيرلايـنر هـي صحيفـة ديـلي جورنـال أنـد كوريـر The Daily Journal and Courier في ولايـة انديانـا حتـى منتصـف ٢٠٠٦م[٦٤].

***

63 www.en.wikipedia.org/wiki/berliner

64 Ibid

الإتجهات الحديثة في التصميمات الفنية

شارت بعض الدراسات عن ألتصاميم الصحافية، الا أن فترة ما بين الحربين العالميتين شهدت العديد من التجارب لتطوير مفاهيم اخراجية في الصحافة الأمريكية[٦٥]. ؟؟؟؟؟؟؟؟؟

وحدث تحول مهم في تطور الإخراج الصحافي، حيث انتقلت مدرسة التصميم من خلال التقليد ، أي أن معظم الصحف تقلد بعضها البعض، إلى مدرسة الخصوصية الإخراجية، أي أن كل صحيفة تحاول أن تبني لها شخصيتها الإخراجية بما يميزها عن غيرها من الصحف. وقد دعا جارسيا إلى توقف الصحف عن تقليد بعضها البعض، وبدلا من ذلك تتوجه إلى بناء خصوصية فنية تتمايز به كل صحيفة عن الأخرى [٦٦].

وكان التحول الأساسي في المدرسة الإخراجية هو من النمط التقليدي الذي تمثل خلال العقود الأولى من القرن العشرين في صورة أو صورة صغيرة باللون الأبيض والأسود، والاعتماد النظام الإخراجي الرأسي vertical design والذي يتحدد من خلال الخطوط الطولية التي تفصل بين الثمانية الأعمدة التي تتكون منها الصفحة. وبطبيعة الحال، تزخر الصفحة الأولى بشكل خاص بعشرات الأخبار القصيرة التي تتوزع على مجمل أعمدة الصفحة.

ومنذ السبعينيات الميلادية من القرن العشرين، بدأت الألوان تأخذ مكانها على الصفحة ألأولى، وبالتالي فقد تحول الاهتمام من الإخراج الذي كان يعتمد على النص، إلى الإخراج الذي بدأ يعتمد على أشكال جديدة في المادة الصحافية، أي أن الجديد في المدرسة الإخراجية بدأ يزاوج بين الكلمة والفن، أو المضمون والشكل. كما تحولت الطريقة الإخراجية من الاعتماد على القلم والورقة، إلى استخدام الكمبيوتر وبرامج التصاميم الصحافية[٦٧].

---

65 Nerone, John and Kevin Barnhurst, "Visual Mapping and Cultural Authority: Design Changes in U. S. newspapers, 1920-1940", Journal of Communication:45, 1995, pp. 9-43

66 Garcia, Mario, "We 've come a long way", The America Editor, April, 2000, pp. 4-5.

67 Utt, Sandra and Steven Pasternack, "Front page Design: Some Trends Continue", Newspaper Research Journal:24: 3, 2003, p. 48

عندما ظهرت صحيفة يو إس أي تودي، جاءت بشكل فني وإخراجي جديد، ومثل ذلك توجها جديدا في المدرسة الإخراجية الصحافية، ومن بين أهم تلك الملامح: تقليص عدد الموضوعات في الصفحة الواحدة، تقليص عدد العناوين ولكن في المقابل تكبيرها، الاعتماد على أشكال فنية مثل الجرافيك المعلوماتي، وكوادر معلوماتية وصور فوتوغرافية تحسن من الشكل الصحافي الإخراجي، زيادة المساحات البيضاء في الصفحة وعدم خنق الصفحة بمساحات سوداء من الكتابة والمواد الطبوغرافية، وأخيرا فإن الألوان بدأت تدب في كثير من الصفحات والصحف[٦٨].

وجاء التنافس بين صحف البرودشيت وصحف التابلويد منصب في محور أساسي بينهما على الشكل الإخراجي لهذه الصحف. وكما هو معروف، فإن وضع الصحيفة في استاندات البيع له تأثيره على حجم مبيعات أي صحيفة. ولهذا عمدت صحف البرودشيت إلى إعادة بناء الصفحة الأولى وهيكلتها اخراجيا، بحيث يكون النصف الأعلى يصبح على شكل شاشة تلفزيونية متكاملة. ومن هنا، روعي في ذلك وجود عناوين جاذبة، وصور معبرة، وبألوان مختلفة لاستقطاب اهتمامات الجمهور. ونشير هنا[٦٩]، إلى أن صحيفة صندي ستار تايمز The Sunday Star Times النيوزيلندية وهي أكبر صحيفة هناك، واجهت تنافسا حادا مع صحيفتين تابلويد، ولهذا اضطرت لأن تعيد بناء تصميم صفحاتها، وخاصة الصفحة الأولى لتوكب اتجاهات الشكل الجديد في التصميم والإخراج الصحافي.

ولا شك أن الصفحة الأولى في أي صحيفة هي الواجهة الأمامية التي تطل من خلالها الصحيفة على جموع قرائها، كما أن الصفحة الأولى هي العنوان الذي يلفت انتباه القرء إلى ملخص ما تم إعداده من موضوعات وأخبار خلال الأربع والعشرين ساعة الماضية. وقد أشارت موسس Moses إلى أن دخول القارئ إلى الصفحة ألأولى يأتي من الصور الكبيرة والعناوين الكبيرة، الذي يضيف بعدا مرئيا إلى الصفحة مما يعزز فرص القراءة لموضوعات الصفحة[٧٠].

---

68 http://wikipedia.org/wiki/news_design

69 www.brasstacksdesign.com/bfd/

70 Moses, Monica, "Consumer Mentality- The American Editor, April, 2000, pp. 6-7

لامست المدرسة الحديثة في الصحافة الدولية سمات متميزة في الشكل والتصميم والإتجاه نحو الألوان، وفيما بعض الإشارات عن هذا التطوير:

الإتجاه الى أحجام صغيرة من الصحف، وعلى سبيل المثال فقد اعتمدت صحيفة USA Today نظام السبعة أعمدة بدل الثمانية المعمول به في الصحف بالحجم التقليدي. كما أن صحفا عالمية باحجام كاملة أخذت تتجه الى مقاس التابلويد، مثل التايمز اللندنية.. وقد جاء هذا التحول مواكبة لمتطلبات القراء، على الرغم من كون صحف التابلويد تتصف عادة بالإثارة والمبالغة الصحافية.

تكبير المانشتات الرئيسة في الصحيفة، وتقليل عدد كلمات العناوين قدر الإمكان، وذلك بالنسبة للقصص الإخبارية الهامة والمثيرة في الصفحة الأولى تحديدا.

استخدام الألوان في الصحف استجابة لتوجهات القراء ومحاكاة للتلفزيون، وكانت صحيفة USA Today تسمى بصحيفية تلفزيونية، وخاصة عندما يتمت صميم النصف الأعلى من الصفحة الأولى. وتوضع في استاندات بيع الصحف.

توظيف الجرافيكس بشكل متنامي، وزيادة استخدام الصور الفوتوغرافية. ولا شك أن الجرافكس الملون والصور الملونة تعكس تأثيرا كبيرا على القراء، وتعطي جاذبية عالية للصحيفة. وتتمثل أهم العمليات الجرافيكية في ثلاث أشكال (ريتش، ٢٠٠٢) ، هي المخطط الإحصائي وخارطة الموقع، ورسم لوقوع حدث معين.

من الملاحظ أن تبويب الصحف اليومية تغير كثيرا في السنوات الماضية، فبدل الصحيفة ذات الجسم الواحد، تعدد الصحيفة الى أقسام عديدة، ومن الأقسام الرئيسة التي تتكرر كثيرا في معظم الصحف الحديثة، قسم الأخبار (الرئيسي) وقسم الإقتصاد، وقسم الرياضة، واحيانا قسم الترفيه.

***



نموذج من الصحافة الدولية

الصحافة الأمريكية:

يو إس أي تودي:

يعتبر ١٥ سبتمبر ١٩٨٢م تاريخا مهما في الصحافة الحديثة في العالم ، فقد صدرت صحيفة يو اس أي تودي USA. Today في الولايات المتحدة الأمريكية . وتعد هذه الصحيفة بما احتوته من مضامين وأشكال إخراجية وقوالب تحريرية ثورة في عالم الصحافة . ويمكن أن يؤرخ لها أنها بداية عصر جديد في الصحافة الدولية المعاصرة . ويرجع الفضل في تأسيس هذه المدرسة إلى الصحافي الشهير نيوهارث Allen Neuharth الذي لطالما راوده حلم تأسيس صحيفة وطنية جديدة في الولايات المتحدة تعتمد على مدرسة صحافية جديدة منذ السبعينات الميلادية من القرن العشرين . لا سيما أن الولايات المتحدة على الرغم من أنها تمتلك أكثر من ١٦٠٠ صحيفة يومية إلا أنها تفتقر لوجود صحف وطنية توزع على مستوى الدولة . ولم توجد على مدى العقود الماضية سوى ثلاث صحف هي وول ستريت جرنال Wall Street Journal وصحيفة كرستيان ساينس مونيتور Christien Science Monitor وصحيفة نيويورك تايمز – New York Time وخاصة عددها والأسبوعي ليوم الأحد الذي يلقى إقبالا كبيرا من مختلف شرائح القراء في مختلف الولايات المتحدة .

وجدت صحيفة يو إس أي تودي موجة من الإنتقادات وخاصة من الإعلاميين في الولايات المتحدة الأمريكية، حيث لم تجد القبول منهم. فعلى سبيل المثال ذكر بين برادلي Bradlee من صحيفة واسنطن بوست إنه اذا اعتبر احد أن يو إس أي تودي صحيفة من الصحف الجيدة، فإن أعتبر نفسي من خارج منسوبي صناعة الصحافة. وذكر إدورد سيرز Sears مدير تحرير صحيفة أتلانتا جورنال إن قراءة صحيفة يو إس أي تودي أشبه بقراءة دليل التلفونات (الصفحات الصفراء yellow pages). بل أضاف احد المحررين ديفيد هول Hall من صحيفة سينت بول إن قراءة هذه الصحيفة تشبه قراءة الإذاعة (يشير إلى تهكم واضح بالصحيفة)[٧١].

71 MacCartney, James, “USA Today grows up”, American Journalism Review: 19:7, September 1997, p. 18

اتجهـت الصحيفـة عنـد تأسيسـها إلى شرائـح معينـة في المجتمـع الأمريـكي بنـاء عـلى دراسـات تسـويقية هدفـت إلى تأسـيس قاعـدة مـن القـراء . وتحديـدا اتجهـت الصحيفـة إلى أربـع شرائـح كانـت تـرى أنهـا يمكـن أن تشـكل لهـا هـذه القاعـدة للانطـلاق نحـو مفهـوم الصحيفـة الوطنيـة[٧٢] :

جيـل الطفـرة الاقتصاديـة وهـم هـؤلاء الذيـن ولـدوا بعـد الحـرب العالميـة الثانيـة ، وتحديـداً بـين عامـي [١٩٤٦ – ١٩٦٤م]. وهـؤلاء هـم الذيـن يقـودون الحيـاة العامـة في المجتمـع الأمريـكي ، وكانـت أعمارهـم عنـد صـدور صحيفـة USA TO Day عـلى ١٩٨٢م تـتراوح بـين أعـمار ١٨ عامـاً و ٣٦ عامـاً . وتشـير الدراسـات السـكانية إلى أن هـذه الشريحـة كانـت تمثـل ٧٨ مليـون فـرد في المجتمـع الأمريـكي .

الجماهـير الرياضيـة .. وتشـكل نسـبة ثلاثـين في المائـة مـن مجمـل السـكان وهـم – في مجملهـم رجـال – يعشـقون الرياضـة ويتطلعـون دائمـا إلى متابعـة الألعـاب الرياضيـة ويتعايشـون مـع نجـوم الرياضـة في مختلـف الألعـاب . وقـد قـدم التلفزيـون تغطيـات منوعـة لهـؤلاء النجـوم والرياضيـين ولهـذا تـأتي هـذه الصحيفـة للتتوجـه إلى هـؤلاء بطريقـة تكـون في مسـتوى جـاذب لهـذه الجماهـير العريضـة مـن عشـاق الرياضـة .

جماهـير السـفر والسـياحة ... وهـؤلاء يشـكلون أرقامـاً مهمـة مـن القـراء الذيـن يتعطشـون لمعرفـة مـا يـدور في شـئون اهتماماتهـم المحليـة عندمـا يغـادرون ويسـاندون في رحـلات عمـل أو زيـارات ترفيـه .

جماهـير العـزاب وخاصـة هـؤلاء الذيـن يعيشـون بعيـداً عـن أهاليهـم وأقاربهـم ، فقـد توجهـت الصحيفـة إليهـم لنقـدم لهـم كل مـا يحتاجونـه وهـم في وحدتهـم وغربتهـم .

وخـلال السـنوات الأولى بعـد صـدور صحيفـة USA TO Day حاولـت صحف أخرى استنسـاخ هـذه الصحيفة بتعديـلات معينـة أمـلاً في مواكبـة النجـاح الذي لاقته الصحيفة. فمثـلاً حاول البليونير الإعلامي المكسـيكي (أيميليو ازكراجا Azcaraage مع عدد من الصحافيين وفي مقدمتهم الصحافي فرانك ريفورد Deford استنساخ صحيفة شبيهة

72 Hartman, John k. (1992) The USA Today Way, Central Michigan University, p. 5

ليـواس أي تـودي أسـموها The National ولكنهـا رياضيـة بحتـة ، ولكنهـم أخفقـوا في الحصـول عـلى الدعـم الإعـلاني لمواكبـة تكاليـف مثـل هـذا الإصـدار وبينـما تصـل المسـاحات الإعلانيـة في معظـم الصحـف الناجحـة إلى حـوالي ٥٠٪ مـن مجمـل المسـاحة ،إلا أن هـذه الصحيفـة الرياضيـة لم تحـظ إلا بحـوالي ١٠ ٪ مـما اضطرهـا إلى التوقـف ، وخاصـة بعـد أن أصـدرت صحيفـة USA. Today ملحقـاً أسـبوعيا عـن لعبـة البيسـبول[٧٣] .

وقـد كان ألـن نيوهـارث مـع مؤسـس صحيفـة يـو اس أي تـودي قـد رفضـوا أن تكـون هـذه الصحيفـة رياضيـة بحتـة وفضلـوا أن تكـون ذات اهتـمام ريـاضي كبـير بـدلاً مـن ذلـك ...

وبسـقوط صحيفـة The National يعطـي توقعـات المؤسسـين نظـرة صاقبـة في اختيارهـم أن تكـون هـذه الصحيفـة ذات صبغـة عامـة ولا تكـون مقتـصرة عـلى مضمـون واحـد[٧٤].

وظهـرت صحيفـة أخـرى في مدينـة سـانت لويـس عـام ١٩٨٩م اسـمها The St. Louis San موجهـة إلى جيـل الطفـرة الاقتصاديـة ولكنهـا أخفقـت كذلـك بعـد عـدة أشـهر . ولم تنجـح هـذه الصحيفـة إلا في كونهـا أجـبرت الصحيفـة المحليـة المنافسـة لهـا عـلى تطويـر ذاتهـا وتحسـين مسـتواها .

وقـد انطلقـت صحيفـة يـو أس أي تـودي عنـد صدورهـا في شـكل إخراجـي جديـد ، عبـارة عـن أربعـة أقسـام Sections يتحـلى كل قسـم بلـون مميـز ، فقـد أخـذ القسـم الأول الإخبـاري اللـون الأزرق ، والقسـم الثـاني عـن الرياضـة اللـون الأحمـر ، والقسـم الثالـث عـن الاقتصـاد اللـون الأخـضر ، والقسـم الرابـع عـن الحيـاة (المجتمـع) اللـون البنفسـجي , واتسـمت الصحيفـة بالصـور الملونـة في كل صفحاتهـا ، ولكـن بشـكل ملفـت في الصفحـة الأولى والصفحـات الأولى مـن كل قسـم ، كـما اتخـذت الصحيفـة لغـة مختـصرة ومركـزه لـكل أخبارهـا وموضوعاتهـا ، وتحمـل الصحيفـة في كل قسـم مـن أقسـامها قصـة صحافيـة رئيسـة يتـم اسـتكمالها في الصفحـة التاليـة ، وهـي الموضـوع الوحيـد الـذي يحمـل بقيـة ، حيـث أن الموضـوعـات الأخـرى في الصحيفـة لا تحمـل أي بقيـات في صفحـات داخليـة .

---

٧٣ المرجع السابق، ص ٦

٧٤ المرجع السابق ص ٦

وهـي بهـذا الإجـراء تحـل مشـكلة يعـاني منهـا القـراء في تقليـب الصفحـات بحثـا عـن بقايـا موضوعـات سـابقة . وتحـاول الصحيفـة منـذ تأسيسـها في التنـوع في الموضوعـات بحيـث يتمكـن القـارئ مـن معرفـة الكثـير مـن الموضوعـات ولكـن القليـل مـن التفاصيـل في هـذه الموضوعـات[٧٥]. كما حاولـت الصحيفـة أن تقـدم للقـراء وجهـات نظـر مختلفـة ومتباينـة مـن خـلال صفحـات الـرأي والافتتاحيـات، فقـد حرصـت أن تبـث يوميـا افتتاحياتهـا في تنـاول الـرأي والـرأي الآخـر . مـن أي موضـوع تكتـب عنـه[٧٦].

ومـن أهـم مـا تميـزت بـه صحيفـة USA. Today الرسـوم الجرافيكيـة التـي تـشرح وتفـسر وتصـف الإحـداث والموضوعـات التـي تتناولهـا ولهـذا حاولـت أن تواكـب العـين البصريـة للقـراء التـي تعـودت على مشـاهدة التلفزيـون الملـون بإعطائـه صحيفـة ملونـة ذات صـورة وإشـكال ورسـوم ملونـة وجذابـة. أقـل مـا يقـال عنهـا انهـا صحيفـة تلفزيونيـة . وقـد اعـترف مؤسـس صحيفـة USA. Today ألـن نيوهـارث أن الأفـكار التـي وضعهـا في هـذه الصحيفـة جـاءت مـن عـدد مـن المجـلات ومـن التلفزيـون وبعـض الصحـف المتطـورة ذات في بعـض الولايـات الجنوبيـة في الولايـات المتحـدة[٧٧].

إمـا عـلى المسـتوى والخطـط التسـويقية للصحيفـة ، فقـد فتحـت الـشركات المعلنـة سـتة أشـهر مـن الإعلانـات المجانيـة عندمـا يتـم توقيـع عقـد طويلـة الأجـل معهـا . وأشـار تـوم كـيرلي Tom Carley وهـذا أحـد الصحافيـين الذيـن سـاهموا في الأفـكار الرئيسـية وتـم الطلـب مـن أن يتـولى الإشراف عـلى قسـم التوزيـع بالصحيفـة رغبـة في زيـادة أرقـام توزيعهـا ، وذكـر كـيرلي أنـه اعتمـد عـلى ثـلاث اسـتراتيجيات لتسـويق الصحيفـة وتوزيعهـا وهـي :

الاتصـال الهاتفـي بالعمـلاء والطلـب منهـم الاشـتراك في الصحيفـة ، واسـتمرار الاتصـال بهـم مـراراً وتكـراراً حتـى يقبلـوا الاشـتراك في الصحيفـة .

---

٧٥ المرجع السابق ص ٦-٧

٧٦ المرجع السابق ص ٧

٧٧ المرجع السابق ص ٨

تكثيـف سـتاندات بيـع الصحيفـة في كل مـكان ، وخاصـة في المواقـع التـي يتواجـد فيهـا النـاس ، حتـى لـو أن هـذه النقطـة البيعيـة تبيـع نسـخة واحـدة أن اثنتـين في اليـوم .

إجبـار النـاس عـلى قـراءة الصحيفـة سـواء شـاءوا أو لم يشـاءوا مـن خـلال وضـع الصحيفـة بـين أيديهـم حتـى ولـو بشـكل مجـاني، ولـو لبعـض الوقـت ... فالراهنـة هـي عـلى جـودة وجاذبيـة الصحيفـة عنـد مـا يتطلـع عليهـا القـارئ .

وقـال كـيري بـأن سياسـة الإغـراق هـذه تسـاعد عـلى تعويـد القـراء عـلى الصحيفـة ، ولهـذا فليـس غريبـاً أن نسـبة تزيـد عـلى الخمسـين في المائـة مـن إيـرادات الصحيفـة تـأتي مـن بيـع الطبعـات الورقيـة للصحيفـة .

وقـد انطلقـت صحيفـة يـو إس أي تـودي USA Today وحققـت نجاحـات كبـيرة، الى أن وصلـت الى الصحيفـة الأكـثر توزيعـا في الولايـات المتحـدة بفضـل خطتهـا التسـويقية المرسـمة، وبفضـل محتواهـا الجديـد عـلى الصحافـة العالميـة، بتركيـز عـلى ألألـوان واسـتخدامات الجرافيكـس بشـكل كبـير.. وظهـور صحيفـة بنوعيـة وشـكل ومحتـوى جديـد كان حلـما للإعلامـي الشـهير ألـين نيوهـارث Allen Neuharth الـذي أسـس هـذه الصحيفـة مـن خلال إحـدى كـبرى الـشركات (المجموعـات) الاعلاميـة الأمريكيـة جانيت Gannett التـي اسـتثمرت بليـون دولار أمريـكي لتأسـيس يـو إس أي تودي USA Today للخمس السـنوات الأولى.. وعـلى الرغـم مـن تعـثر في السـنوات الأولى، بسـبب ظهـور صحـف منسـوخة عـن هـذه المدرسـة الجديـدة مثـل صحيفـة ذا ناشـونال The National والتـي كان يملكها البليونير المكسـيكي اسـكراجا وكانت صحيفـة رياضيـة بحتـة، وكذلـك صحيفـة سـانت لويـس سـن St. Louis Sun ، الا أن صحيفـة يـو إس أي تـودي USA Today قـد حققـت نجاحـات متناميـة، وأدى اسـتمرار نجاحهـا الى إفـلاس هاتـين الصحيفتـين المنافسـتين.. وخروجهـما مـن السـاحة الصحافيـة. ومـع مـرور السـنوات بدأت ترسـخ مدرسـة USA Today وتؤثـر في باقـي الصحـف الأخـرى سـواء داخـل الولايـات المتحـدة او خارجهـا، رغـم التعليقـات السـاخرة التـي وجههـا النـاشرون والصحافيـون في البدايـة ضـد مدرسـة USA Today .. وحتـى كـبرى الصحـف

الأميركيـة مثـل النيويـورك تايمـز والواشـنطن بوسـت ولـوس انجليـس تايمـز بـدأت تقلـد الصحيفـة الجديـدة في نظـام الألـوان والأقسـام ونظـام الجرافيكـس والجـداول والتبويـب التحريـري. كـما انتـشرت هـذه المدرسـة في اوروبـا وفي دول أخـرى مـن آسـيا.. كـما أن هـذه المدرسـة أثـرت عـلى ظهـور صحيفـة الوطـن السـعودية، وصحيفـة العـرب اليـوم الأردنيـة.

وقـد تسـلقت صحيفـة USA Today سـلم توزيـع الصحـف في الولايـات المتحـدة الى أن وصلـت الى الصحيفـة الأكـثر انتشـار في الولايـات المتحـدة الأمريكيـة، وتخطـت الصحيفـة الأولى لسـنوات طويلـة وهـي صحيفــة وول ســتريت جورنــال Wall Street Journal .

صحيفة نيويورك تايمز:

هـي الصحيفـة التـي يعتمـد عليهـا في تسـجيل الأحـداث في الولايـات المتحـدة عـبر العقـود الماضيـة، أي أن المتتبـع لأحـداث معينـة أو لخطـب سياسـية ينبغـى أن يعـود فيهـا إلى قـراءة هـذه الصحيفـة. وهـي تصـدر في مدينـة نيويـورك منـذ عـام ١٨٥١م، عندمـا أسسـه الصحـافي والسـياسي هـنري ريمونـد Raymond . ومنـذ الثمانينيـات مـن القـرن التاسـع عـشر الميـلادي تحولـت التايمـز مـن دعمهـا للمرشـحيين الجمهورييـين إلى موقـف مسـتقل غـير داعـم لأي مرشـح. النـاشر أدولـف أوكـس Ochs هـو الـذي أطلـق شـعار التايمـز عـام ١٨٩٧م وحتـى اليـوم "جميـع الأخبـار التـي تتناسـب مـع الطبـع" All News That's Fit to Print، وأصبـح علامـة بـارزة في تاريـخ الصحيفـة، حيـث يكتـب يوميـا عـلى صـدر صفحتهـا الأولى. وتمتلـك حاليـا عائلـة سـولزبرجر Sulzberger نسـبة كبـيرة مـن أسـهم شركـة نيويـورك تايمـز. ومنـذ تأسـيس هـذه الصحيفـة، لم تخـرج الملكيـة الرئيسـة لهـا عـن عائلـة اوكس/سـولزبرجر[٧٨]. وتعـد الصحيفـة متميـزة في أخبارهـا وتقاريرهـا وتأثيرهـا عـلى الـرأي العـام الأمريـكي، وقـد حصـدت ٩٤ جائـزة بوليتـزر، وهـي أشـهر جوائـز الصحافـة في العـالم. ويوجـد بالصحيفـة حـوالي عشريـن قسـما تحريريـا في مختلـف التخصصـات، ولهـا ٢٣ مكتبـا خارجيـا في مختلـف عواصـم ومناطـق العـالم. كـما لهـا سـتة مراكـز تحريـر اقليميـة داخـل الولايـات المتحـدة في واشـنطن، بوسـطن، شـيكاغو، لـوس انجلـس، سـان فرانسسـكو، وسـياتل.

78 http://eg.wikipedia.org/wiki/new_york_times

وقـد كانـت نيويـورك تايمـز تصـدر طبعـة دوليـة منـذ عـام ١٩٤٦م، ولكنهـا توقفـت عـام ١٩٦٧م عندمـا اشـتركت مـع صحيفـة نيويـورك هيرالـد تربيـون وصحيفـة واشـنطن بوسـت عـلى إصـدار صحيفـة دوليـة مـن باريـس بمسـمى انترناشـونال هيرالـد تربيـون International Herald Tribune . مـن أهـم المحطـات الرئيسـة لهـذه الصحيفـة، هـو المحاكمـة التـي دخلـت فيهـا ضـد الحكومـة الأمريكيـة فيـما يعـرف بــ "أوراق البينتاجـون" Pentagon Papers وكانـت الصحيفـة قـد حصلـت عـلى تسريبـات عبارةعـن وثائـق عسـكرية سياسـية تعكـس الوضـع في فيتنـام مـن عـام ١٩٤٥م إلى عـام ١٩٧١م، وبـدأت التايمـز تنـشر هـذه الوثائـق عـلى شـكل سلسـلة، ولكـن أصـدرت الحكومـة الأمريكيـة في عهـد الريـس نيكسـون أمـرا قضائيـا بايقـاف نـشر هـذه الأوراق لأنهـا تتعـارض مـع الأمـن القومـي. وخـلال هـذه الفـترة بـدأت واشـنطن بوسـت نـشر نفـس الأوراق مـن خـلال مراسـلها بـين باجديـكان Bagdikian فاضطـرت الحكومـة الأمريكيـة أن تصـدر أمـرا بايقـاف نـشر البوسـت لهـذه الوثائـق، التـي تشـير إلى تعمـد الحكومـة توسـيع دائـرة الحـرب بغـارات جويـة عـلى شـمال فيتنـام، وأنـه تـم تجاهـل واشـعار المواطـن الأمريـكي بمـا يحـدث في سـاحة الحـرب. وأخـيرا تحولـت نـر هـذه الأوراق في التايمـز والبوسـت إلى المحكمـة الدسـتورية العليـا، التـي قضـت بـأن حجـب هـذه الأوراق عـن النـشر يعـد رقابـة قبليـة – قبـل النـشر – تتعـارض مـع التعديـل الدسـتوري الأول First Amendment واعتبرهـا الكثـير نـصرا للصحافـة ضـد هيمنـة الحكومـة عـلى النـشر الصحـافي بحجـة ضرورات الأمـن الوطنـي[٧٩].

وعـلى مسـتوى المقـر الـذي توجـد فيـه صحيفـة نيويـورك تايمـز، فـإن مـن أشـهر المقـرات التـي احتضنـت الصحيفـة مقرهـا في الشـارع ٤٢ عـام ١٩٠٤م، وقـد أعطـت اسـمها لمـكان الاحتفـالات الكـبرى المفتـوح وسـمي تايمـز سـكوير، ولكـن بعـد تسـع سـنوات انتقلـت إلى الشـارع ٤٣ ، بينـما بيـع مقرهـا السـابق عـام ١٩٦١م. ومـن المتوقـع أن تنتقـل النيويـورك تايمـز إلى مقـر جديـد عـلى شـكل ناطحـة سـحاب تقـع عـلى تقاطـع(West ٤١ & ٨th Avenue) في مانهاتـن بمدينـة نيويـورك ذلـك خـلال عـام ٢٠٠٧م.

79 Ibid

صحيفة واشنطن بوست:

تعتبر واشنطن بوست Washington Post الصحيفة الأولى والأكثر توزيعا في العاصمة الأمريكية واشنطن، وقد تأسست عام ١٨٧٧م. وتعتبر مع نيويورك تايمز وصحيفة وول ستريت جورنال من أهم الصحف الأمريكية على مر العقود الماضية. وتدرج في ملكية الصحيفة عدد من رجال الأعمال، والكونجرس وغيرهم، ومن الطريف أن واشنطن ماكلين عندما شرى هذه الصحيفة عام ١٩٠٥م مع ابنه جون ماكلين، وقد أوصى قبل موته بان تدار الصحيفة من خلال وقف، تشكيكا في قدرة ابنه في متابعة شئون الصحيفة، وبعد موته عام ١٩١٦م اعترض ابنه، واستعاد ملكيته للصحيفة، ولكن حدث ما كان والده يخشاه، حيث تردت أوضاع الصحيفة، وتم بيعها في مزاد علني عام ١٩٣٣م، وامتلكها يوجين ميير Meyer ، ثم جاء زوج ابنته فيليب جراهام وامتلك الصحيفة عام ١٩٤٦م. ثم امتلكت زوجته كاثرين ميير الصحيفة عام ١٩٦٣م، وكانت هذه اول إمرأة ملأت مكان الناشر لكبرى الصحف الأمريكية، واستمرت في عملها ومناصب قيادية في البوست آخرها رئسة مجلس الإدارة، ثم رئيسة للجنة التنفيذية حتى وفاتها عام ٢٠٠١م، وقد عمل معها أبنها دونالد جراهام كناشر للواشنطن بوست منذ عام ١٩٧٩م، ثم رئيسا لمجلس الإدارة اى عام ٢٠٠٠م، عندما خلفه بويزفوليت جونز[80].

واشتهرت الواشنطن بوست بتحقيقاتها المعمقة، أو ماسمي بالتحقيق البحثي investigative reporting ، واشتهر كل من بوب وودورد Bob Woodward وكارل بيرنستاين Carl Bernstein الذين فجرا فضيحة ووتر جيت water-gate - تصنت الحزب الجمهوري على مقر الحزب الديمقراطي -والتي اطاحت بالرئيس الأمريكي نيكسون عام ١٩٧٣م. وعلى الرغم من هذا النجاح وغيره من النجاحات فهناك سقطات للصحيفة، حيث نشرت الصحيفة سلسلة من التقارير بعنوان "عالم جيمي" Jimmy's World وصفت فيه المحررة جانيت كووك Janet Cooke أوضاع إدمان طفل عمره ثمان سنوات على الهيروين. وفازت كووك بجائزة بوليتزر، ولكن فيما بعد اتضح أن هذه القصة كانت ملفقة، وليس

80 http://en.wikipedia.org/wiki/wahsington_post

لهـا أسـاس مـن الصحـة، مـما اضطـر الصحيفـة إلى الاعتـذار للقـراء، وإعـادة الجائـزة[81]. تعتـبر البوسـت مـن الصحـف الجـادة في الصحافـة الأمريكيـة، حيـث حصلـت حتـى عـام ٢٠٠٦م عـلى ٢٢ جائـزة بوليتـزر، وهـي أعـلى مرتـب الجوائـز الصحافيـة في العـالم، اضافـة إلى جوائـز أخـرى مـن مؤسسـات إعلاميـة.

وتميـزت البوسـت بكثافـة وعمـق تقاريرهـا عـن العاصمـة الأمريكيـة، وخاصـة عـن البيـت الأبيـض، وعـن الكونجـرس، ومختلـف الإدارات الحكوميـة في واشـنطن. وتعتـبر صحيفة واشـنطن تايمـز Washington Times المنافـس الحـالي لهـذه الصحيفـة في العاصمـة واشـنطن، رغـم أن توزيعهـا لا يتعـدى سـبع مجمـل توزيـع صحيفـة البوسـت[82].

صحيفة وول ستريت جورنال:

تعـد وول سـتريت جورنـال Wall Street Journal أشـهر صحيفـة اقتصاديـة في العـالم، وتمتلكهـا شركـة داو جونـز الماليـة في نيويـورك، ولهـا طبعتـان أوروبيـة وآسـيوية، وتـوزع يوميـا حـوالي المليونـين نسـخة ورقيـة، اضافـة إلى وجـود اشـتراك في نسـختها الألكترونيـة تصـل إلى حـوالي المليـون. وقـد بـدأت قصـة الصحيفـة بقصـة تأسـيس شركـة داو جونـز، حيـث اتفـق ثلاثـة صحافيـون هـم تشـارلز دو Charles Dow وإدورد جونـز Edward Jones تشـارلز بيرجسـترسر Bergstresser عـلى تأسـيس شركـة داو جونـز عـام ١٨٨٢م. وبعـد فـترة قصـيرة أسـس داو صحيفـة وول سـتريت جورنـال عـام ١٨٨٩م، كـما اسـتحدث بعـض المـؤشرات الإقتصاديـة التـي تعكـس حالـة السـوق. وعندمـا اشـتراها كلارنـس بـارون Barron عـام ١٩٠٧م كان توزيعهـا ٧٠٠٠ نسـخة، ولكنـه رفعهـا إلى أكـثر مـن ٥٠٠٠٠ نسـخة في نهايـة العشرينيـات الميلاديـة. وحاليـا تتحكـم في الصحيفـة والشركـة عائلـة بانكروفـت Bancroft . كـما أن روبـرت مـوردوخ قـد حـاول شراء شركـة داو جونـز في مايـو ٢٠٠٧م، الا أن إدارة الشركـة رفضـت عرضـه، نظـرا لأن الصحيفـة تعتمـد اخبارهـا وتقاريرهـا بموضوعيـة وتنـاول محايـد، وهـذا لـن يتوفـر للشركـة والصحيفـة اذا تحولـت إلى النظـام الصحـافي الـذي يعتمـده مـوردوخ .[83]

81 Ibid

82 Ibid

83 http://en.wikipedia.org/wiki/wall_street_journal

بـدأت وول سـتريت جورنـال نسـختها الإلكترونيـة عـام ١٩٩٦م، وهـي تتصـدر أعـداد الاشـتراكات المدفوعـة مـن بـين أشـهر صحـف العـالم. كـما أن الصحيفـة بـدات اصـدار عـدد اسبوعي كل يـوم سـبت عـام ٢٠٠٥م بعـد توقـف دام خمسـين عامـا، وكان ذلـك بهـدف اسـتقطاب مزيـد مـن المعلنـين في هـذا العـدد ألأسـبوعي. كـما أن الصحيفـة أدخلـت الإعـلان لأول مـرة عـلى صفحتهـا الأولى عـام ٢٠٠٦م، بعـد إدخالـه عـلى طبعتيهـا الأوروبيـة والآسـيوية قبـل بعـام واحـد. ومـن أهـم مـا يميـز هـذه الصحيفـة عـدم نشرهـا للصـور الشـخصية منـذ تأسيسـها، الا أنهـا في عـام ١٩٧٩م اسـتحدثت نظـام رسـم للشـخصيات السياسـية والعامـة عـلى شـكل رسـم خطـي يبـين وجـوه هـذه الشـخصيات، وهـو الـذي أسـمته هدكوتـس Hedcuts ، ومـن الملاحـظ أن الصـور الحدثيـة الملونـة بـدأت تنتـشر عـلى صفحـات وول سـتريت جورنـال في السـنوات الأخـيرة وخاصـة في صفحـات "أنمـاط الحيـاة". وعـلى مسـتوى مقـاس الصحيفـة، فقـد صغرت مـن مقاسـها المعتـاد برودشـيت إلى مقـاس اصغـر، بحـذف عمـود كامـل، وقـد ذكـرت الصحيفـة أن هـذا التصغـير أتي بهـدف تخفيـض تكلفـة الطباعـة، حيـث سـيوفر عليهـا أكـثر مـن ١٨ مليـون دولار سـنويا[٨٤].

وتتمتـع الصحيفـة بسياسـة تحريريـة تميـل إلى المحافظـة، والى مبـادئ السـوق المفتوحـة، وعنـد الحديـث عـن سياسـات الحكومـة تجـاه المهاجريـن، أعلنـت الصحيفـة في افتتاحياتـه أنـه تـرى وجهـة نظرهـا في خمـس كلـمات "يجـب أن تكـون حدودنـا مفتوحـة"، وهـذا يعكـس جـرأة الطـرح الصحـافي لهـذه الصحيفـة. وتعكـس الصحيفـة دائمـا ثقتهـا في الفكـر الفـردي، والسـوق الحـرة مـن الأفـكار، دون المحاولـة للذهـاب إلى حلـول توفيقيـة وسـطية كـما تنـزع إلى ذلـك بعـض الصحـف أو بعـض الساسـة. وتتميـز الصحيفـة بوجـود قسـمين منفصلـين تمامـا عـن بعضهـما البعـض، هـم قسـم الأخبـار، وقسـم الـراي. والفصـل يـأتي بهـدف عـدم تأثـير أي منهـما عـلى الآخـر. وأحـد الأمثلـة يوضـح أهميـة هـذا الفصـل، حيـث تتنبـى التقاريـر الإخباريـة وجهـة نظـر مفادهـا أن الإنسـان هـو مسـبب رئيـس للتغـيرات المناخيـة، عاكسـة بذلـك دراسـات واسـتشرافات مسـتقبلية، بينـما صفحـات الـرأي والافتتاحيـات لا تؤمـن بذلـك[٨٥].

84 Ibid

85 Ibid

وتذكر الصحيفة أن وكالة داو جونز الإخبارية هي أول وكالة نقلت خبر اصطدام طائرة بمبني التجارة العالمي في تفجيرات الحادي عشر من سبتمبر، وبسببها نالت جائزة بولتزر. كما أن مبناها كان مواجها لإحدى مبني مركز التجارة العالمي، وانهارت في دقائق، وكان المحررون يخشون أن عدد اليوم التالي سيغيب في سابقة لم تحدث في مائة عام، ولكن خطة الطوارئ نجحت في صدور عدد اليوم التالي[٨٦]. وتصدر عن شركة داو جونز بالإضافة إلى المطبوعة الأساسية لوول ستريت جورنال، وطبعتيها الدوليتين في اوروبا وآسيا، توجد مجلة اقتصادية بارون ماجازين Barron's Magazine وهي أسبوعية تراجع حالة الاقتصاد والأسواق العالمية. ما تمتلك الشركة مجلة للمستهلكين Smart Money ومجلة شهرية Far Eastern Economic Revew [٨٧] .

صحيفة لوس أنجلس تايمز:

صدرت صحيفة لوس أنجليس تايمز Los Angeles Times عام ١٨٨١م في مدينة لوس أنجلس بولاية كاليفورنيا، وكان مسماها الأول لوس أنجلس ديلي تايمز، ولكن سرعان ما أفلست الصحيفة، ثم أتت اليها إدارة جديدة من شركة ميرور وعينت أحد العسكريين القدامي جري أوتس Otis رئيسا للتحرير، واستطاع إنجاح الصحيفة. وبعد وفاته عام ١٩١٧م استلم منه زوج ابنته هاري تشاندلر Chandler كناشر لهذه الصحيفة، ثم خلفه إبنه نورمان عام ١٩٤٤م. وتملك الصحيفة شركة تايمز-ميرور، الا أنها شريت من قبل شيكاغو تربيون عام ٢٠٠٠م، منهية عصر الملكية الفردية لأسرة تشاندلر. وخلال فترة تغييرات المناصب تقلد دين باكويت Baquet أول أمريكي اسود رئاسة تحرير التايمز، ولكنه لم يصمد أمام متطلبات شركة تربيون، وتم استبداله حيمس أوشي O'shea الذي كان رئيسا لتحرير صحيفة شيكاغو تربيون. وقد سجلت لوس أنجلس تايمز أكبر تراجع في أرقام التوزيع من بين الصحف الكبرى في الولايات المتحدة الأمريكية عام ٢٠٠٦م. وفي عام ٢٠٠٧م قبلت شركة تربيون عرض مقدم من سام زيل Zell لشراء لوس انجلس تايمز[٨٨].

86 Ibid

87 http://en.wikipeia.org/dow_jones

88 http://en.wikipedia.org/wiki/the_los_angele_times

وهـي ثـاني أكـبر صحيفـة اقليميـة بعـد نيويـورك تايمـز، رغـم حضورهـا الوطنـي المهـم في مـن بـين الصحـف الوطنيـة الأمريكيـة. وقـد تعرضـت مصداقيـة الصحيفـة لنكسـة عـام ١٩٩٩م عندمـا كشـفت التحقيقـات عـن عمـولات بـين تحريـر الصحيفـة وبـين إحـدى الـشركات في إصـدار مجلـة بمناسـبة افتتـاح أحـد المراكـز الرياضيـة في لـوس أنجلـس. وهـذا الإجـراء مرفـوض في عـرف الصحافـة الأمريكيـة تمامـا، حيـث الانفصـال بـين التحريـر والإعـلان مبـدأ أسـاسي يحفـظ مهنيـة الصحيفـة. وعـلى الرغـم مـن تلـك الجدليـات، فقـد اسـتطاعت التايمـز أن تحصـل عـلى ٣٧ جائـزة بولتيـزر حتـى عـام ٢٠٠٤م، وفي عـام واحـد فقـط (٢٠٠٤م) حصـدت خمـس جوائـز مختلفـة مـن بوليتـزر.

الصحافة البريطانية:

صحيفة التايمز:

تعـد صحيفـة التايمـز Times الصحيفـة الأولى في بريطانيـا، والتـي يعتمـد عليهـا في تسـجيل الأحـداث منـذ تأسيسـها عـام ١٧٨٨م. وقـد كان لهـذه الصحيفـة دور بـارز في التأثـير عـلى السياسـية البريطانيـة، وخاصـة السياسـية الخارجيـة، والتأثـير عـلى الـرأي العـام البريطـاني خـلال هـذه العقـود الطويلـة منـذ تأسيسـها. ويصـدر مـع هـذه الصحيفـة العـدد الأسـبوعي الشـهير صنـدي تايمـز Sunday Times وكلاهـما يعـود لشركـة تايمـز الصحافيـة، التـي امتلكتهـا شركـة نيـوز كوربوريشـن News Corporation التـي تعـود إلى الملياردير روبـرت مـوردوخ، وعـلى مـر التاريـخ كانـت التايمـز تتبينـى وتؤيـد السياسـة البريطانيـة المحافظـة وخاصـة حـزب المحافظـين- يمـين الوسـط - الا أنـه بعـد دخـول مـوردوخ ودخولـه مرحلـة التأثـير عـلى سياسـة الصحيفـة، تحولـت هـذه الصحيفـة إلى تأييـد حـزب العمـل في الانتخابـات الأخـيرة[٨٩].

يعـود الفضـل في إصـدار هـذه الصحيفـة إلى جـون والـتر Walter الـذي أسسـها في اول تحـت مسـمى ديـلي يونيفرسـال ريجسـتر Daily Universal Register وذلـك عـام ١٧٨٥م، ولكـن لم تنجـح الصحيفـة، ولهـذا غـير مـن اسـمها إلى الأسـم الحـالي تايمـز

89 http://en.wikipedia.org/wiki/the_times

The Times عـام ١٧٨٨م. وبنـت سـمعتها مـن الأخبـار التـي كانـت تنشرهـا عـن القـارة الأوروبيـة، وخاصـة عـن فرنسـا بشـكل خـاص، كـما أن التايمـز قـد اسـتثمرت شـخصيات وكتـاب في السياسـة العلـوم والـتراث والفـن، وكانـت تدفـع لهـم التايمـز مبالـغ كبـيرة لا تسـتطيع صحـف منافسـة أن تقدمهـا لهـم، مـما خلـق لهـا التميـز الـذي كانـت تنشـده. وكانـت التايمـز أو صحيفـة أرسـلت موفـدا إلى الخـارج، وهـي أول صحيفـة ابتدعـت فكـرة المراسـل الحـربي في بعـض النزاعـات والحـروب الخارجيـة. وفي منتصـف القـرن التاسـع عـشر بـدأت التايمـز تواجـه منافسـة شـديدة مـن "صحـف البنـي" penny press وخاصـة الديـلي تيلجـراف ومورننـج بوسـت، ولكنهـا تجـاوزت هـذه الفـترة الحرجـة والصعوبـات الماديـة، بعـد أن ارتبطـت بطـرق تسـويقية جديـدة مشـتقة مـن مفاهيـم تسـويق أمريكيـة، وخاصـة عندمـا اشـتركت التايمـز في تسـويق الموسـوعة البريطانيـة. وتعاقـب خـلال العقـود الأولى مـن القـرن العشريـن أكـثر مـن مالـك لهـذه الصحيفـة، فمـن عائلـة اللـورد نورثكليـف، إلى عائلـة أسـتور، إلى مسـتثمر كنـدي روي ثمبسـون. وقـد توقفـت التايمـز لحـوالي عـام تقريبـا - مـن ١ ديسـمبر ١٩٧٨ إلى ١٢ نوفمـبر ١٩٧٩ - بسـبب خـلال بـين العاملـين والمالكـين في هـذه الصحيفـة. ونتيجـة لأوضـاع الصحيفـة ومقاومـة العاملـين فيهـا للتقنيـات الجديـدة لم تتمكـن إدارة ثومبسـون مـن الاسـتمرار في ملكيـة الصحيفـة وتلبيـة الاحتياجـات الجديـدة لهـا، اوهـذا مـا دعـى إلى بيعهـا الي إلى الملياردير الأسـترالي روبـرت مـوردوخ Murdock عـام ١٩٨١م[٩٠] .

وكان أول قـرار اتخـذه مـوردوخ هـو اسـتبدال رئيـس التحريـر ريس-مـوج برئيـس تحريـر جديـد هـو هارولـد ايفانـز Harold Evans ، كـما أدخـل تقنيـات الطباعـة الجديـدة في الصحيفـة، والتـي كان اتحـاد العـمال معترضـا عليهـا فيـما مضى، وقـام باسـتبدال مطابـع اللينوتايـب التـي كانـت تطبـع الصحيفة منـذ القرن التاسـع عشربتجهيـزات حاسـوبية حديثـة ومطابـع ذات تقنيـة عاليـة. كـما أن انتقـال الصحيفـة مـن مبناهـا القديـم بقـرب فليـت سـتريت إلى مبناهـا الجديـد مـن وابنـج Wapping ، سـاعد عـلى تطويـر آليـات التحريـر الداخليـة للصحيفـة، كـما تخلـت الصحيفـة عـن اسـتخدام ألقـاب المجامـلات - وفـق اسـتايل بـووك style book- مثـل

90 Ibid

السيد والسيدة والآنسة. ومن أهم التغيرات التي حدثت لصحيفة التايمز هو تصغي مقاس الصحيفة إلى مقاسات أصغر، وبدأت في نوفمبر ٢٠٠٣م بطباعة متشركة بين المقاس العادي برودشيت والمقاس الجديد الأضغر، إلى أن اتجخت بشكل نهائي في ١٣ سبتمبر عام ٢٠٠٤م إلى شكل تابلويد أو ما تطلق عليه الصحيفة كومباكت - صحيفة مصغرة – وهذا بداية جقبة جديدة في تاريخ الصحيفة، مع ما صاحبه من تغيرات في التبويب التحريري، لمواكبة العادات القرائية وخاصة بين الشباب. كما رفعت الصحيفة قيمة بيعها إلى ٦٠ فلس، بعد أن كانت قد قامت بتخفيضها عام ١٩٩٣م إلى ٣٠ فلس في حرب لكسب القارئ بين الصحف البريطانية.[91] أما على مستوى التوزيع، فقد بلغت عام ٢٠٠٥م حوالي ٦٩٢ الف نسخة يوميا[92].

صحيفة الجارديان:

كانت التسمة الأولى لهذه الصحيفة مانشستر جارديان حيث صدرت من مدينة مانشستر البريطانية، وذلك عند تأسيسها عام ١٨٢١م، ولكن بعد عام ١٩٥٩م، تخلت الصحيفة عن اسم مانشستر وأصبح اسمها فقط الجارديان Guardian ، وتطبع في كل من لندن ومانشستر في شكل مقاس وسطي بيرلاينر أو كومباكت عام ٢٠٠٥م. وقد انتقل المركز الرئيسي لها إلى لندن عام ١٩٦٤م.

ومن أشهر رؤساء تحريرها سكوت Scott الذي استمر في رئاستها للتحرير لسبعة وخمسين عاما حتى عام ١٩٠٧م، حيث انتهج مواقف متشدد من بعض القضايا السياسية والاجتماعية في بريطانيا. وكانت للعلاقة الوثيقة بينه وبين وايزمان أثر ودورفي إعلان وعد بلفور Balfour في كون فلسطين موطن شرعي لليهود، وفي عام ١٩٤٨م كانت الجارديان من أكثر الصحف تأييدا لتأسيس دولة اسرائيل. وقد كشف دفنا بارام في كتاب "التحرر من الوهم: الجارديان واسرائيل" عام ٢٠٠٣م علاقة الصحيفة بالقوى الصهيونية المؤيدة لإسرائيل. ولاشك أن الجارديان تعد من الصحف التي تدخل في جدليات كثيرة، ولهذا فلديها الكثير من القضايا في محاكم النشر

91 Ibid

92 Ibid

البريطانيـة. فقـد نـشرت الصحيفـة عـام ١٩٨٣م تقاريـر سريـة عـن مواقـع صواريـخ كـروز في بريطانيـا، مـما أضطـر الصحيفـة إلى تسـليم المحكمـة هـذه التقاريـر، وسـجن الشـخص الـذي قـام بتبليـغ الصحيفـة عـن ذلـك. كـما نـشرت الصحيفـة عـام ١٩٩٥م تقاريـر عـن أحـد الـوزراء في الحكومـة البريطانيـة إيتكـن Aitken وعـن ضلوعـه في أخـذ رشـاوي عبـارة عـن اقامـات مجانيـة لـه ولعائلتـه في فنـدق رتـز بباريـس مـن الأميرمحمـد بـن فهـد، ولكـن المحكمـة حكمـت بأنعـدام الأدلـة في هـذا الاتهـام. وهنـاك كثـير مـن القضايـا التـي واجهـت الصحيفـة، اضطرتهـا إلى التراجـع عنهـا بعـد انعـدام الأدلـة والبراهـين، أو لإنعـدام أخلاقيـات العمـل المهنـي في مثـل تلـك القضايـا[٩٣].

وعـلى الرغـم مـن ذلـك، حظيـت الصحيفـة بجوائـز عديـدة عـلى تميزهـا التحريـري، أو عـلى الشـكل الفنـي لهـا، أو لتميـز نسـختها الإلكترونيـة، سـواء مـن مؤسسـات أو جمعيـات بريطانيـة أو أمريكيـة. وقـد اشـترت مجموعـة الجارديـان صحيفـة الأبزيرفـر Observer الأسـبوعية عـام ١٩٩٣م. وتميـل صحيفـة الجارديـان إلى الوسـط الليـبرالي وبقـرب مـن المواقـف اليسـارية في الحيـاة السياسـية البريطانيـة[٩٤].

صحيفة الديلي تيليجراف:

تأسسـت الديـلي تيليجـراف عـام ١٨٥٥م بواسـطة الكولونيـل البريطـاني أرثـر سـيليج Sleigh ولكنـه سرعـان مـا باعهـا إلى صاحـب المطبعـة التـي كانـت تطبـع فيهـا هـذه الصحيفـة جوزيـف ليفـي Levy الـذي أحـال مسـئولية التحريـر فيهـا إلى أبنائـه. ثـم خفـض سـعر بيـع الصحيفـة إلى مقـدار penny واحـد، وحقـق لهـا هـذا الإجـراء نجاحـا كبـير، حيـث مكنهـا مـن تجـاوز صحيفـة التايمـز في مبيعاتهـا[٩٥]. وقـد سـاهمت مقابلـة نشرتهـا الديـلي تيليجـراف عـام ١٩٠٨م لإحـدى الشـخصيات الألمانيـة في خلـق توتـر في العلاقـات البريطانيـة الألمانيـة، أدت إلى تصعيـد سـياسي سـاهم في خلـق أجـواء الحـرب العالميـة الأولى[٩٦]. ثـم بيعـت الصحيفـة إلى عائلـة بورنـام وعائلـة كامـروس واسـتمرت معهـم إلى أن بيعـت عـام ١٩٨٦م إلى رجـل الأعـمال الكنـدي كونـراد بـلاك Black

93 http://en.wikipedia.org/wiki/the_guardian

94 Ibid

95 www.en.wikipedia.org/wiki/daily_telegraph

96 www.lib.byu.edu

ثـم امتلكهـا الأخـوان بـاركلي Barclay وهـما المالـكان الحاليـان لهـذه الصحيفـة. وتعـد صحيفـة الديـلي تيليجـراف بيتـا لحـزب المحافظـين، رغـم أن أحـد ملاكهـا ديفيـد بـاركلي ذكـر في تصريحـات إعلاميـة بأنـه ينبغـي الا تكـون كذلـك ثـم تراجـع عـن هـذه الفكـرة فيـما بعـد. وفي انتخابـات عـام ٢٠٠٥م أيـدت الصحيفـة الحـزب المحافـظ في هـذه الانتخابـات. وتعـد هـذه الصحيفـة الوحيـدة التـي لا تـزال بنظـام البرودشـيت وهـو المقـاس الاعتيـادي للصحـف الجـادة البريطانيـة. وقـد أضيفـت صحيفـة الصنـدي تيليجـراف عـام ١٩٦١م كشـقيقة أخـرى لهـذه الصحيفـة[٩٧]. وكان موقـع الصحيفـة عـلى الإنترنـت هـو الأول بـين الصحـف البريطانيـة، وكان ذلـك في نوفمـبر ١٩٩٤م، ويعـد هـذا الموقـع مـن أفضـل المواقـع الإلكترونيـة للصحـف البريطانيـة، حيـث نـال الكثـير مـن الجوائـز في هـذا الخصـوص[٩٨]. ومـن الأخطـاء الطريفـة التـي وقعـت فيهـا الصحيفـة أنهـا نـشرت بتاريـخ ٢٤ أغسـطس ١٩٨٨م تاريخـا خطـأ لإصدارهـا في ذلـك اليـوم حيـث كتبتـه ٢٥ إغسـطس ١٩٨٨م.

صحيفة الصن:

تعـد صحيفـة الصـن The Sun التـي تصـدر مـن لنـدن أكـثر صحيفـة باللغـة الإنجليزيـة توزيعـا في العـام، حيـث تـوزع حـوالي ثلاثـة ونصـف المليـون نسـخة يوميـا، بينـا حجـم القـراءة لهـا تصـل لحـوالي ثمانيـة ملايـين شـخص في المملكـة المتحـدة. ويمكـن تقسـيم تاريـخ صحيفـة الصـن إلى فترتـين، أولاهـما قبـل امتـلاك مـوردوخ، والثانيـة بعـد امتلاكـه لهـذه الصحيفـة. وقـد أطلقـت الصحيفـة عـام ١٩٦٤م مـن مجموعـة مـيرور كبديـل لصحيفـة يوميـة كانـت قائمـة اسـمها ديـلي هيرالـد Daily Herald ، وكانـت موجهـة للطبقـة العاملـة، ولكـن نظـرا لأن هـذه الشريحـة قـد شـاخت عمريـا ولم تعـد جاذبـة للمعلـن، فقـد فقـدت الاهتـمام بالمعلـن، كـما أن المـلاك لم يكـن يريـدوا أن تتنافـس صحيفتان(الهيرالـد والمـيرور) لنفـس المجموعـة عـلى نفـس الجمهـور. وبعـد تعـثر للصـن في سـنواتها الأولى، تـم بيعهـا إلى شركـة نيـوز انترناشـونال التابعـة لمجموعـة نيـوز كوربوريشـن التـي يملكـه روبـرت مـوردوخ وذلـك عـام ١٩٦٩م[٩٩].

97 www.en.wikipedia.org/wiki/daily_telegraph

98 Ibid.

99 http://en.wikipedia.org/wiki/the_sun

بعد شرائه للصن، واضافته لها إلى جانب صحيفة نيوز أف ذا وورلد News of the World الأسبوعية التي تصدر كل يوم أحد، حولها مباشرة إلى صحيفة تابلويد، وابتدع الصفحة الثالثة التي اشتهرت بها الصن، وهي عبارة عن صورة لفتاة عارية، ولا زالت مستمرة منذ عام ١٩٧٠م. ودخلت الصن المعترك السياسي للإنتخابات السياسية في بريطانيا، فقد بدأت قريبة من حزب العمال، ثم تحولت في عهد ثاتشر وميجور لمساندة حزب المحافظين. ومن أطرف مواقفها السياسية، في الانتخابات التي كان نيل كونيك رئيس حزب العمال عام ١٩٩٢م، علقت أنه في حال فوزه في هذه الانتخابات، "فإن آخر شخص يبقى في بريطانيا يجب ان يطفئ الأنوار"، ثم بعد يومين إدعت الصن أنها هي التي أكسبت المحافظين الفوز في الانتخابات. ثم عادت الصن في دعم حزب العمال في عهد توني بلير[١٠٠]. وتعتبر الصن من أشهر صحف التابلويد في العالم، حتى أن البعض قد أطلق عليها "ملكة التابلويد".

الصحافة الفرنسية:

صحيفة ليموند:

صحية ليموند Le Monde - وتعني "العالم" - هي من أشهر الصحف الفرنسية وتعد من الصحف التي يعتمد عليها في توثيق الأحداث the newspaper of the record في فرنسا، وهي صحيفة مسائية، والصحيفة الوحيدة التي توزع خارج نطاق الدول الفرانكفونية. وقد أسس الصحيفة هيوبتر بيوف-ميري Hubert Beuve-Mery بطلب من الجنرال تشارلس ديجول بعد طرد الألمان من فرنسا عقب الحرب العالمية الثانية، وقد صدر عددها الأول في ١٩ ديسمبر ١٩٤٤م[١٠١].

تعد ليموند من صحف وسط اليسار، أو ما يمكن أن يطلق عليه صحف معتدلة في مواقفها في الحياة السياسية الفرنسية. وبينما كانت مؤيدة لسياسات الرئيس الفرنسي ميتران، فقد كانت كثيرة الانتقاد لسياسات جاك شيراك ومعه الرئيس الحالي

---

100 Ibid

101 http://en.wikipedia.rg/wiki/le_monde

سـاركوزي. ومـن أهـم مـا تتميـز بـه الصحيفـة هـو تركيزهـا الأكـبر عـلى الآراء والتحليـلات السياسـية التــي تتميــز بهــا، ولكــن هــذا لا يــأتي عــلى حســاب اهتمامهــا بتســجيل الأحــداث، فهــي تشــكل مصـدرا توثيقيـا للأحـداث الفرنسـية عـلى وجـه الخصـوص. وقـد صـدر عـام ٢٠٠٣م كتابـا جدليـا بعنـوان "الوجـه المخفـي لليمونـد" The Hidden Face of Le Monde انتقـد فيهـا قيـادات الصحيفـة بانهـم غـير فرنسـيين في حرصهـم عـلى المصالـح الفرنسـية العليـا، ويضعـون أنفسـهم في دوائـر ضيقـة تفقدهـم الاسـتقلال السـياسي، وتـزج بهـم في تبعيـة حزبيـة، وقـد اعترضـت الصحيفـة عـلى مـا كتـب عنهـا في هـذا الكتـاب - الـذي ألفـه كل مـن بـير بيـان وفيلـب كوهـن – وتـم الاتفـاق عـلى عـدم طباعـة أي طبعـات أخـرى لهـذا الكتـاب في تسـويه بـين الطرفـين[١٠٢].

وتتميـز الصحيفـة بهيكليـة إداريـة تضـع العاملـين فيهـا ليـس فقـط كموظفـين، بـل مسـاهمين فيهـا، ويشـاركون في انتخابـات الإدارات والقيـادات العليـا في المؤسسـة. وقـد أصـاب ليمونـد مـا أصـاب باقـي الصحـف في العـالم، مـن تناقـص في توزيـع الصحيفـة، حيـث انخفضـت مـن حـوالي ٤٠٦ آلاف نسـخة في عـام ٢٠٠١م إلى حـوالي ٣٦٤ ألـف نسـخة عـام ٢٠٠٤-٢٠٠٥م. ويجـب التفريـق بنـي ليمونـد الصحيفـة اليوميـة وبـين ليمونـد دبلوماتيـك Le Monde Diplomatique التـي هـي عبـارة عـن إصـدرا شـهري تمتلـك صحيفـة ليمونـد منـه ٥١٪ مـن أسـهم هـذا الإصـدار[١٠٣].

صحيفة ليفيجارو:

صـدرت ليفيجـارو Le Figaro اسـبوعية مـن بدايـة تأسيسـها عـام ١٨٢٦م، ولم تكن منتظمـة حتى عام ١٩٥٤م عندمـا امتلكهـا ديفيليميسـان الـذي حولهـا إلى صحيفـة مهمـة وذات توزيـع كبير من بـين الصحف الفرنسـية. وقـد دخلـت ليفيجـارو معـترك الحيـاة السياسـية عندمـا إغتالـت زوجـة أحـد رؤسـاء الـوزرار كايلوكس رئيس تحرير الصحيفة كالمت عام ١٩١٤م عندما نشر رسـالة تتهم زوجها بالفسـاد. واسـتمر تقدم

102 Ibid

103 Ibid

الصحيفـة بـين الصحـف المنافسـة، إلى أن وصلـت إلى الصحيفـة الأولى في فرنسـا مـع بدايـة الحـرب العالميـة الثانيـة، وأصبحـت الصحيفـة صـوت الطبقـة الوسـطي في المجتمـع الفرنـسي، وخاصـة الشرائـح العليـا مـن هـذه الطبقـة، وأصبحـت صوتـا محافظـا في الحيـاة السياسـية[١٠٤].

ويمتلـك رجـل الأعـمال المعـروف سـيرج داسـول Dassault نسـبة كـبرة ومؤثـرة مـن أسـهم ملكيـة هـذه الصحيفـة، وهـو سـياسي محافـظ ومرتبـط بـشركات لصناعـة الأسـلحة في فرنسـا. وهـذا أثـار الكثـير مـن اللغـط حـول الإسـتقلال التحريـري للصحيفـة، لإنتمائتـه – ولإنتـماءات إبنـه – لأحـد الأحـزاب السياسـية في فرنسـا UMP ، مـما جعلـه في فـترة سـابقة يقـول بـأن الصحيفـة يجـب أن تطـرح الأفـكار الصحيفـة، وأن الفكـر اليسـاري لايرتقـي لدرجـة مـن الصحيـة التـي تؤهلـه أن يجـد مكانـا في مثـل هـذه الصحيفـة[١٠٥].

صحيفة ليبراسيون:

أصـدر الفيلسـوف والمفكـر الوجـودي جين-بـول سـارتر Sartre وآخـرون مـن مفكـري اليسـار صحيفــة ليبراســيون Liberation عــام ١٩٧٣م والتــي تعنــي الحريــة أو التحريــر ومركزهــا العاصمــة الفرنسـية باريـس. ونفـس الإسـم كان إسـم صحيفـة مقاومـة فرنسـية للاحتـلال الألمـاني أثنـاء الحـرب العالميـة الثانيـة في شـمال فرنسـا، وفي جنوبهـا، حيـث صـدرت عـام ١٩٤١م، ولكـن الشـكل المسـتمر مـن هـذه الصحيفـة هـو الـذي أصـدره سـارتر عـام ١٩٧٣م، وكان رئيسـا لتحريرهـا حتـى عـام ٢٤ مايـو ١٩٧٤م.

وجـاء هـذا الإصـدار نتيجـة تداعيـات مظاهـرات الاحتجـاج التـي اجتاحـت فرنسـا وكثير مـن عواصم ومـدن العـالم الغـربي في نهايـة السـتينيات الميلاديـة. ويتمركـز الخـط السـياسي للصحيفـة في يسـار الوسـط. ومنـذ بدايتهـا مـع الخـط اليسـاري في الثقافـة والحياة السياسـية الفرنسـية، الا أنهـا تعرضـت لمطبـات كثيرة خـلال الثمانينيـات والتسـعينيات، إلى درجـة أنهـا خرجـت تقريبـا من محور اليسـار السـياسي بحكـم تبنيها

104 http://en.wikipedia.org/wiki/le-figaro

105 Ibid

لبعـض القضايـا التـي أغضبـت قرائهـا مـن أصحـاب هـذا التوجـه. وقـد وصـل توزيعهـا عـام ٢٠٠٧م إلى حـوالي ١٤٠٠٠٠ نسـخة، بتراجـع منتظـم خـلال السـنوات الماضيـة، حيـث كان توزيعهـا عـام ١٩٩٩م حـوالي ١٧٠٠٠٠ نسـخة يوميـا[١٠٦].

ومـن الملفـت للنظـر أن الفلسـفة اليسـارية قـد أثـرت عـلى بنـاء هياكلهـا الإداريـة، حـي لم يكـن يوجـد – عـلى الأقـل في السـنوات الأولى – أي نظـام هرمـي في السـلطة الإداريـة يعكـس تفـاوت في السـلم المـالي لموظفـي الصحيفـة، وقـد تحـدد راتـب واحـد يتقاضـاه رئيـس التحريـر ونفـس الراتـب بـدون زيـادة أو نقصـان يتقاضـاه العامـل "الفـراش" الـذي ينظـف أو يحـضر الشـاي أو القهـوة. ولكـن لم يـدم ذلـك كثـيرا، حيـث دخـل مسـتثمرون جـدد في الشراكـة لـرأس مـال الصحيفـة، كـما دخـل الإعـلان – الـذي كان محرمـا عليهـا – ضمـن إيـرادات الصحيفـة في الثمانينيـات الميلاديـة، مـما اضطـر الصحيفـة أن تعـود إلى النظـام المـالي الاعتيـادي الـذي يفـرق بـين وظائـف الصحيفـة حسـب الهيـكل الإداري لهـا[١٠٧].

وقـد توقفـت الصحيفـة لفـترة قصـيرة حـوالي ثلاثـة أشـهر خـلال عـام ١٩٨١م، ولكنهـا عـادت تحـت إدارة يـرج جـولاي July أحـد مؤسسـيها، الـذي اختـط لهـا خطوطـا سياسـية واضحـة، حيـث بنـت سياسـتها التحريريـة عـلى مقاومـة العنصريـة، ودعـم حقـوق العـمال وحقـوق المـرأة. ولا ترتبـط ليبارسـيون بـأي حـزب سـياسي في فرنسـا، ولكـن تعكـس عـلى صفحـات الـرأي فيهـا مختلـف وجهـات النظـر السياسـية، ولهـذا يـراه البعـض كصحيفـة بديلـة للصحـف الفرنسـية القائمـة. وتعرضـت الصحيفـة خـلال عامـي ٢٠٠٦-٢٠٠٧م إلى هـزات عنيفـة، اضطـر فيهـا جـولاي أن يسـتقيل تحـت ضغـط روتشـيلد Rothschild أحـد رجـال الأعـمال الـذي امتلـك ٣٧٪ مـن رأسـمالها، وقـدم آخـرون اسـتقالاتهم احتجاجـا عـلى تدخلاتـه في التحريـر. وانتقـل الجـدل بينـه وبـين جـولاي وغـيره إلى صفحـات صحـف أخـرى، كانـت أبرزهـا ليمونـد، التـي اسـتاثرت بكثـير مـن الغسـيل والفضائـح عـن هـذه الصحيفـة.[١٠٨]

106 http://en.wikipedia.org/wiki/lib%c3%a9rations

107 Ibid

108Ibid

الصحافة الألمانية:

صحيفة بيلد:

تعـد صحيفـة بيلـد Bild مـن أشـهر الصحـف الألمانيـة، ومـن أكثرهـا انتشـارا، بـل هـي أكـثر الصحـف الأوروبيـة انتشـارا، وتعـد أعـلى صحـف العـالم انتشـارا مـن خـارج الصحـف اليابانيـة، حيـث يـاتي ترتيبهـا السادسـة عالميـا حيـث راوح توزيعهـا في السـنوات الماضيـة حـوالي الأربعـة ملايـين نسـخة. وقـد بلغـت الـذروة في التوزيـع خـلال الثمانينيـات الميلاديـة بوصولهـا إلى الخمسـة ملايـين نسـخة يوميـا. ومنـذ ذلـك التاريـخ بـدأت – مثـل غيرهـا مـن صحـف العـالم – تشـهد تناقصـا في التوزيـع، وتشـير أرقـام ٢٠٠٦م الى ٣,٨ مليـون نسـخة[١٠٩].

وقـد تأسسـت صحيفـة بيلـد عـام ١٩٥٢م عـلى يـد النـاشر الألمـاني الشـهير أكسـل سـبرنجر Axel Springer ويقـع مركزهـا الرئيـسي في مدينـة هامبـورج، وتعـد صحيفـة وطنيـة تـوزع في مختلـف المـدن الألمانيـة في ٣٢ طبعـة إقليميـة، اضافـة إلى أن لهـا طبعـات خارجيـة في اسـطنبول بتركيـا، وفي جـزر الكنـاري التـي تعـد مـن أهـم مناطـق السـياحة للألمـان[١١٠].

وعندمـا صـدرت هـذه الصحيفـة جـاءت مقلـدة لصحيفـة الديـلي مـيرور البريطانيـة Daily Mirror وهـي صحيفـة عـلى نظـام البرودشـيت (المقـاس الكامـل)، ولكنـه تعـد صحيفـة تابلويـد في المضمـون، لأنهـا صحيفـة إثـارة مـن الدرجـة الأولى، وهـي حاليـا تشـبه صحيفـة الصـن البريطانيـة The Sun في مضمونهـا. وعـلى سـبيل المثـال، تنتهـج هـذه الصحيفـة الألمانيـة نهـج صحيفـة الصـن في نشـها لفتيـات عاريـات، وبينـما تنـشر الصـن صـورة لفتـاة عاريـة عـلى الصفحـة الثالثـة، ولهـذا سـمي هـولاء الفتيـات "فتيـات الصفحـة الثالثـة" Third –Page Girls ، لكـن صحيفـة بيلـد تنـشر هـذه الصـورة العاريـة عـلى الصفحـة الأولى، ولكنهـا في النصـف الأسـفل مـن الصفحـة، حيـث يمكـن أن لا تظهـر عندمـا توضـع عـلى سـاتاندات التوزيـع. وأضافـة إلى لغـة الإغـراء المتمثلـة في الجنـس والمـرأة تهتـم الصحيفـة بالجريمـة والعنـف، والإثـارة السياسـية، وحتـى اختلاقـات الأخبـار المفبركـة، بهـدف زيـادة مقروئيتهـا بـين النـاس[١١١].

---

109 www.bild.de. (the newpaper website)

110 Ibid.

111 http://en.wikipedis.org/wiki/bild-zeitung

وعلى الصعيد السياسي تشارك صحيفة بلد في الحياة العامة بكل قوة حيث كانت الصحيفة تطلق على ألمانيا الشرقية بأنها أراضي محتلة من الإتحاد السوفيتي سابقا. كما أن هذه الصحيفة لها تأثيرها الكبير على الرأي العام، حيث ساهمت على تأجيجه خلال أحداث المظاهرات التي اجتاحت أوروبا في نهاية الستينيات الميلادية من القرن العشرين. كما أن صحيفة بلد قد نشت عنوانا رئيسا بعد اختيار بابا الفاتيكان الألماني بنديكت، تحت عنوان "نحن البابا" we are the pope [١١٢]. وعلى الرغم من اتجاهها العام وميلها نحو الفكر السياسي المحافظ، الإ أنه في السنوات الأخيرة أخذت نهج الوسط من بين السياسات الألمانية.

الصحافة اليابانية:

صحيفة يوميوري:

صحيفة يوميوري شمبون Yomiuri هي الصحيفة الأولى في العالم من حيث أرقام التوزيع، وهي صحيفة يابانية توزع أكثر من أربعة عشر مليون نسخة يوميا من مراكزها في طوكيو، أوساكا، فوكوياما ومن مدن أخرى في الجزر اليابانية. وقد تأسست هذه الصحيفة عام ١٨٧٤م، من مؤسسة صحافية تسمى نسشوشا، وكانت صحيفة صغيرة ليست ذات قيمة في حينها. ولكن بعد أن إعتلى كرسي إدارتها ماتسوتارو عام ١٩٢٤م – بعد أن دمرها الزلزال الكبير عام ١٩٢٣م - حولها إلى صحيفة إثارة، وطرح من خلالها أربع صفحات عن برامج الإذاعة. كما ارتبطت هذه الصحيفة بتأسيس أول فريق بيسبول في اليابان، وحمل إسم هذه الصحيفة [١١٣]. وقد تطور العمل المطبوع ليوميوري إلى الإذاعة عام ١٩٥١م ثم إلى التلفزيون عام ١٩٥٣م، وتمتلك حاليا شبكة تلفزيون اليابان، والذي تمتد إلى أكثر من ثلاثين محطة تلفزيونية، بما فيها محطة تلفزيون اخبارية على مدار الأربع والعشرين ساعة. وفي العام ١٩٥٥م أطلقت الصحيفة طبعتها باللغة الإنجليزية، والتي تتوجه إلى الأجانب الذين يعيشون في اليابان، وتقدر نسبتهم من مجمل قرائها ٧٢٪[١١٤].

112 Ibid.

113 http://www.docoja.com/cgi-bin/keywordj?polg+newspaper+dico/polgifg

114 http://www.ketupa.net/yomiuri.htm#introduction

وعلى مستوى الصحيفة، فيوجد ٣٠٠ مكتبا لها داخل اليابان، اضافة إلى حوالي ٣٠ مكتبا ومراسلا في الخارج، وقد ارتبطت بشراكات مع صحف عالمية، من بينها صحيفة التايمز اللندنية، حيث توزع يوميوري ملحقا بإسم التايمز من الأخبار والتعليقات والمقالات، يعكس الرؤية الأوروبية[115]. ويزيد عدد الكادر التحريري عن أربعة آلاف محرر، وهذا يعادل اربعة اضعاف الكادر التحريري للنيويورك تايمز[116].

وتشير آخر الإحصائيات عن توزيع صحيفة يوميوري أن الطبعات الصباحية تبلغ حوالي عشرة ملايين نسخة، بينما الطبعات المسائية تصل إلى حوالي الأربعة ملايين نسخ. وتقدر الصحيفة أن نسبة مقروئة الصحيفة تزيد على ٢٦ مليون قارئ، بحكم أن التوزيع المنزلي لإشتراكات الصحيفة يفرض قراءة مشتركة لأكثر من شخص واحد[117].

صحيفة أساهي:

تعد صحيفة أساهي Asahi ثاني أكبر صحيفة في اليابان وفي العالم من حيث أرقام التوزيع اليوميةن حيث توزع أكثر من ١٢ مليون نسخة من طبعاتها الصباحية والمسائية. وقد تأسست هذه الصحيفة من إحدى المدن الكبرى في اليابان – أوساكا – عام ١٨٧٩م، على شكل أربع صفحات وبتوزيع وصل إلى ٣٠٠٠ نسخة. وبعد حوالي تسع سنوات صدرت صحيفة طوكيو أساهي شمبون من العاصمة اليابانية. وفي عام ١٩٠٨م اندمجت كلا الصحيفتين من طوكيو وأوساكا في شركة واحدة.

تتميز صحيفة اساهي بارشيفها الواسع، الذي اشتمل على أعدادها القديمة، ويوجد هذا الأرشيف على شكل ثلا مخرجات: CD ، مايكروفيلم، ومطبوعات ورقية مضغوطة لهذه الأعداد. كما يشتمل ارشيفها الموجود في بعض المكتبات العالمية على مؤشرات بالعناوين الرئيسة والفرعية لكل ما نشر فيها منذ عام ١٩٤٥م إلى عام ١٩٩٩م. كما توجد الأعداد من عام ١٩٨٤م في قاعدة بيانات لكزيس نيكسس الأمريكية ذات البحث الأكاديمي.

115www.editorsweblog.org/print_newspapers/2004/03/ the_yomiuri_shimbun_and_the_times_announ.php

116 http://www.time.com/time/magazine/printout/0,8816,921337,00.html

117http://adv.yomiuri.co.jp/m-data/english/02yomiuri_a.html



الفهرس

الصفحة



حقوق الطبع محفوظة للناشر
أطلس
للنشر والإنتاج الإعلامى
يحظر نشر أو اقتباس أى جزء من هذا الكتاب إلا بعد الرجوع إلى الناشر